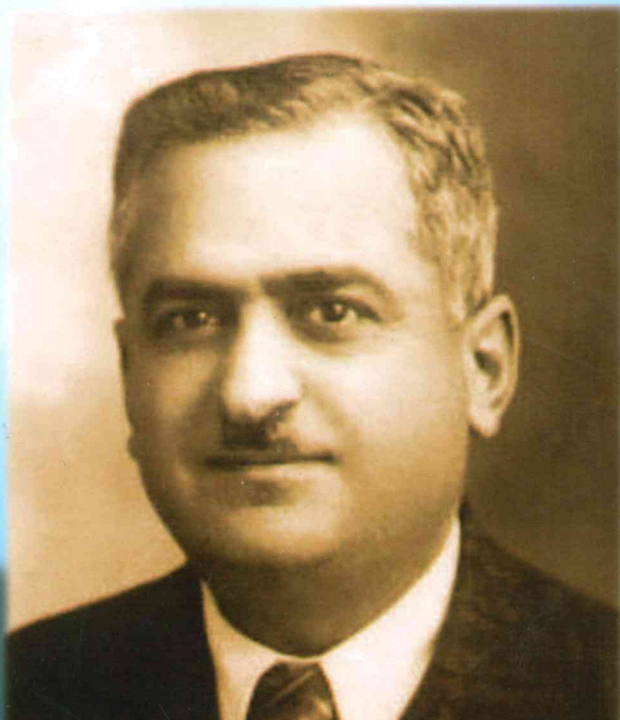
وزارة الثقافة
الهيئة العامة السورية للكتاب

مرشد خاطر

وتعريب التعليم الطبي



أحمد بوبس

مرشد خاطر

وتعريب التعليم الطبي

تصميم الغلاف
عبد العزيز محمد

أحمد بوبس

مرشد خاطر

وتعريب التعليم الطبي

دراسة

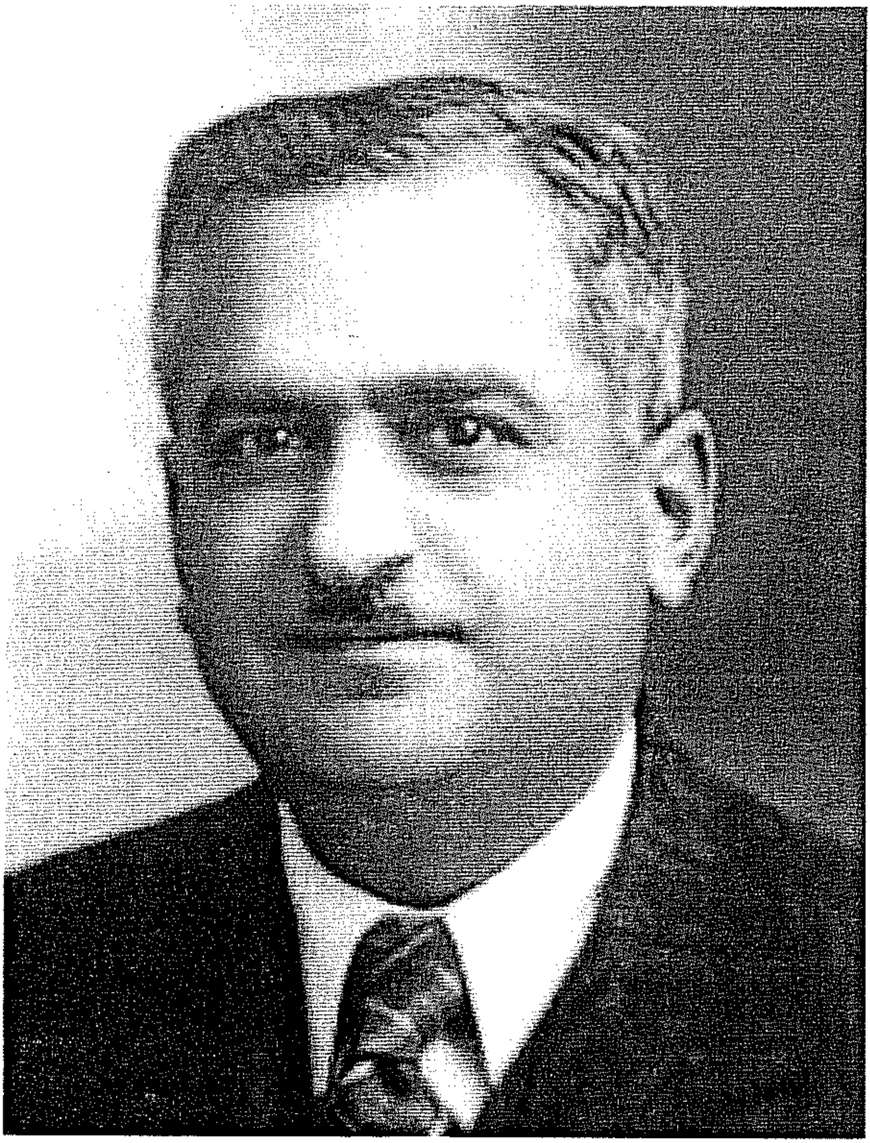
منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب

وزارة الثقافة — دمشق ٢٠٢٢م

مرشد خاطر وتعريب التعليم الطبي: دراسة / أحمد بوبس .- دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠٢٢م .- ١٠٤ص ؛ ٢٥سم.

١- ٨١٢,٠٦ ع ب د و ٢ - العنـــوان ٣- بـــــوبس
٤ - السلسلة.

مكتبة الأسد



مرشد خاطر

مُقدّمة

مرشد خاطر ورحلة الألف ميل

في مطلع شبابي وعندما كنت أمرّ في شارع مرشد خاطر في دمشق، كنت في كل مرة أسائل نفسي، من هو مرشد خاطر هذا؟..هل هو سياسي، أم أديب، أم...؟ لكن لم يكن يخطر على بالي أن يكون طبيباً عالماً كبيراً، لأن بلادنا لا تهتم عادة بمثل هذه الشخصيات على أهميتها. وعرفت فيما بعد أن مرشد خاطر طبيب نطاسي وعالم كبير في العلوم الطبية، وهو أحد مؤسسي المعهد الطبي العربي بدمشق عام ١٩١٩، الذي هو اليوم كلية الطب في جامعة دمشق. وله الفضل الكبير في تعريب تدريس الطب، لتغدو كلية الطب هذه الوحيدة في تدريس الطب بالعربية بين جامعات الدول العربية، وبعد ذلك نحت كلية الطب في جامعة حلب المنحى نفسه.

ومنذ سنوات بعيدة بدأت أبحث عن معلومات عن مرشد خاطر، تنمي معرفتي به. لكنني لم أجدْ ما ينقع غليلي، لا كتاباً ولا دراسة، بل نتفاً هنا وهناك، وأغلبها حواش في كتب لا تزيد على أسطر قليلة. وهذا ما دفعني إلى أن أعمل على إنصاف هذا الرجل الكبير بكتاب عن حياته وعطاءاته الطبية، أو على الأقل بدراسة متكاملة ترسم صورة جلية له، وتفيد الباحث والمهتم.

بدأت رحلة الألف ميل بأول خطوة إلى مكتب أستاذنا الدكتور محمد إياد الشطي في مخبره. ولقيت منه كل تشجيع، لاسيما وأن مرشد خاطر كان زميل والده الدكتور موفق شوكت الشطي في التدريس في المعهد الطبي العربي، وقدم لي نسخة من كتاب عن والده تعينني في مسعاي. والخطوة الثانية كانت إلى وزارة الصحة، وقدمت طلباً إلى الوزير أطلب فيه الاطلاع على إضبارة الدكتور مرشد خاطر لكونه وزيراً سابقاً للصحة، لاستقاء ما يمكن من المعلومات منها، إلا أني خرجت بخفي حنين.

الخطوة الثالثة كانت إلى كلية الطب، وقام الدكتور إياد الشطي مشكوراً بالاتصال بعميد كلية الطب ليعطي الموضوع اهتمامه، وفي الواقع لقيت كل ترحيب من العميد، وأعطى توجيهاته إلى أمينة مكتبة الكلية بتسهيل مهمتي وتزويدي بما أريد، لكن للأسف لم أجد في مكتبة كلية الطب كلمة واحدة عن مرشد خاطر الذي كان أستاذاً فيها وأول عميد لها عند تحول اسمها من المعهد الطبي العربي إلى كلية الطب.

أما الخطوة الرابعة فكانت إلى مكتبة الأسد الوطنية. وفيها وجدت ضالتي المنشودة، وكانت محطتي الطويلة. فقد وجدت فيها معظم مؤلفات الدكتور مرشد خاطر. فاطلعت عليها كتاباً كتاباً، وأخذت منها المعلومات الكثيرة عن تلك المؤلفات وعن مرشد خاطر شخصياً.

والخطوة الخامسة والأخيرة كانت في مجمع اللغة العربية بدمشق، عند أستاذنا الدكتور مروان المحاسني رئيس المجمع، والدكتور المحاسني هو أحد شاهدي عصر لا ثالث لهما على مرشد خاطر، أما الشاهد الآخر فهو أستاذنا الدكتور إبراهيم حقي الذي سيأتي ذكره في ثنايا الكتاب. فقد كان

الاثنان من طلابه في المعهد الطبي العربي، ولازماه بعد ذلك حتى وفاته. لقيت كل تشجيع من الدكتور المحاسني على مبادرتي هذه، وحدثني عن الدكتور مرشد خاطر باستفاضة، وعن ذكرياته معه. وحديثه هذا زاد من رصيدي المعرفي بمرشد خاطر، وجعلني مهيئاً لأن أكمل مشروعي بوضع دراسة كافية شافية عن هذا الطبيب العالم الكبير مرشد خاطر.

وهذا الكتاب هو عصارة جهد استمر ما ينوف عن العام، سعيت فيه لأن أقدم مرشد خاطر بأفضل ما يكون التقديم. كتاب يكون مرجعاً وافياً لكل باحث. فإن وفقت فهذه غاية ما أريد، وإن قصرت فحسبي أنني اجتهدت، ولكل مجتهد نصيب، والله ولي التوفيق.

أحمد بوبس

الفصل الأول

النشأة والبداية

ثمة رجال في سورية أوقدوا شعلة العلم من جذوة عقولهم، في وقت كان الجهل يخيم على مجتمعنا. فكانت لهم بصمات واضحة في الحركة العلمية في بلدنا، لكن الزمن طواهم وطوى ذكرهم، فأصبحوا نسياً منسياً. ومنهم الطبيب العالم مرشد خاطر الذي هو بحق واحد من الرواد القلائل في تعريب التعليم الطبي في سورية. ولا سيما في المعهد الطبي العربي الذي تحول إلى كلية الطب في جامعة دمشق. وهذه الكلية هي الوحيدة بين كليات الطب العربية التي تدرس موادها باللغة العربية. ولولا شارع بدمشق يحمل اسمه، لما سمع أحد حتى النخبة المثقفة به.

ومرشد خاطر طبيب جراح وعالم موسوعي ولغوي متعمق في اللغة العربية، وضع العديد من المؤلفات الطبية والهامة، وترجم عدة كتب طبية فرنسية إلى اللغة العربية، مغنياً المكتبة الطبية العربية بمراجع مهمة.

* الولادة والنشأة:

ولد مرشد خاطر بن حنا بن نجم في الأول من كانون الثاني عام ١٨٨٨ لأسرة صغيرة ومتواضعة في قرية بتاتر، وهي قرية من قضاء

الشوف في لبنان. وتلقى تعليمه الابتدائي والثانوي في مدرسة الحكمة ببيروت. وكانت هذه المدرسة تعنى باللغة العربية عناية فائقة، مما كان له الأثر الكبير في تمكنه منها. وبعد نيله الشهادة الثانوية (البكالوريا) عام ١٩٠٦، انتسب إلى كلية الطب الفرنسية في الجامعة اليسوعية ببيروت، ونال شهادتها عام ١٩١١، بعد أن خاض امتحاناً أمام لجنة طبية فرنسية تركية، ومنحته شهادة طبية من الجمهورية الفرنسية بتاريخ ٧ كانون الثاني عام ١٩١١. وكانت شهادة هذه الكلية تصدر في باريس، كأي كلية في إحدى جامعات باريس.

*** بداية حياته العملية:**

في عام ١٩١٥ استُدعي مرشد خاطر للخدمة العسكرية في الجيش العثماني، ومنح رتبة رئيس، وكانت الحرب العالمية الأولى قد انطلقت شرارتها عام ١٩١٤. وأرسِل مع القوات التركية إلى منطقة معان في جنوب شرقي الأردن لمقاتلة قوات الثورة العربية بقيادة الشريف حسين، وفي منطقة محطة غدير الحاج جنوب مدينة معان، حيث كانت تتمركز القوات التركية المنضوي تحت لوائها، وقع أسيراً في يد القوات العربية بقيادة الشريف حسين بن علي قائد الثورة العربية الكبرى على الحكم التركي في المعركة التي وقعت بين القوات العربية والقوات التركية بتاريخ الثاني والعشرين من أيلول عام ١٩١٨، ولكن سرعان ما أطلق سراحه مع سائر الأطباء العرب بأمر من الشريف حسين. واتجه مرشد خاطر إلى حيث يقيم الأمير فيصل بن الحسين على رأس الجيش العربي، الذي كان يستعد للذهاب إلى دمشق وإقامة دولة فيها، وطلب مقابلته. وبالفعل طلب منه الأمير فيصل أن يرافقه إلى دمشق. وعلى الفور عُيِّن رئيساً للقسم الجراحي في مشفى (أبو الأسل)،

وهو مشفى ميداني تابع لقوات الثورة العربية، ورُفِّع إلى رتبة مقدم. ودخل مرشد خاطر دمشق طبيباً في الجيش العربي.

وعندما دخلت القوات العربية دمشق بقيادة الأمير فيصل بن الشريف حسين في الثالث من شهر تشرين الأول عام ١٩١٨، كان مرشد خاطر من ضمن هذه القوات. وعُيِّن رئيساً للقسم الجراحي في المشفى العسكري بدمشق (يعرف هذا المشفى حالياً بمشفى المزة العسكري). وكذلك عمل في (مشفى الغرباء) الذي يقع شرق مبنى رئاسة جامعة دمشق، ثم تحول اسمه إلى (المشفى الوطني)، وحالياً أصبح المشفى متخصصاً بالأمراض الجلدية، ويُسمّى (مشفى الأمراض الجلدية).



الأمير فيصل

* في المعهد الطبي العربي:

في الثامن من تشرين الثاني عام ١٩١٨ كلف الأمير فيصل الدكتور رضا سعيد بإحداث معهد طبي بدمشق، أطلق عليه اسم (المعهد الطبي العربي). ومنذ اللحظة الأولى قرر رضا سعيد أن يكون تدريس الطب في المعهد باللغة العربية. وكان اختيار مبنى للمعهد يقع خلف مشفى الغرباء (مشفى الأمراض الجلدية حاليا). وافتتح المعهد رسمياً في الثاني عشر من كانون الثاني عام ١٩١٩. وتولى رضا سعيد عمادته. وكان اختيار مرشد خاطر عضواً في اللجنة التي شُكّلت لتعريب مناهج الطب في المعهد المزمع افتتاحه.

وأول ما قام به رضا سعيد هو اختيار الهيئة التدريسية للمعهد، وكان مرشد خاطر من أوائل من وقع عليهم الاختيار، لتوفر صفتين أساسيتين فيه إضافة إلى كفاءته الطبية، هما إتقانه للغة العربية التي سوف تكون الأداة الرئيسة في تعريب مناهج تدريس الطب في المعهد، وإتقانه للغة الفرنسية التي سوف تساعد على ترجمة بعض كتب التدريس الفرنسية إلى العربية.


رضا سعيد

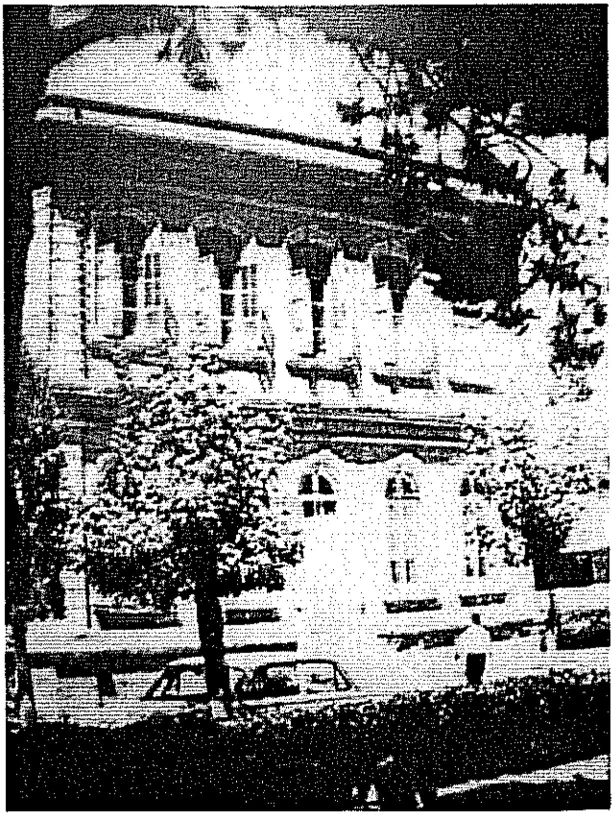
وبدأ مرشد خاطر التدريس في المعهد منذ اليوم الأول لافتتاحه بتاريخ ١٢ كانون الثاني عام ١٩١٩. وحمل المعهد وقتها اسم (المدرسة الطبية العربية)، وبعد فترة تحول إلى (المعهد الطبي العربي). وتولى مرشد خاطر تدريس مادة (الأمراض الجراحية وسريرياتها).

ومن أجل تشجيع البحث العلمي الطبي وتوفير فسحة لنشر الأبحاث الطبية للأساتذة في المعهد وللطلاب المتفوقين، أزمع رضا سعيد على إصدار مجلة طبية حملت اسم (مجلة المعهد الطبي العربي)، وأوكل رئاسة تحريرها إلى مرشد خاطر الذي استمر في رئاسة تحريرها حتى آخر عدد صدر في شهر نيسان عام ١٩٤٧ قبل توقفها عن الصدور، واستمر في تحريرها منفرداً لمدة ثلاث وعشرين سنة.

وسبق أن تولى مرشد خاطر رئاسة تحرير مجلة (الصحة العمومية)، التي صدر منها /٢٦/ عدداً قبل أن تتوقف عن الصدور، وتخلفها مجلة

(المعهد الطبي العربي). ومجلة (الصحة العمومية) أصدرتها إدارة صحة دمشق، وصدر العدد الأول في أول كانون الثاني عام ١٩١٩، وكانت جريدة أسبوعية، تولى رئاسة تحريرها الدكتور محمد سعيد السيوطي، ثم انتقلت تبعيتها إلى المعهد الطبي العربي بعد إنشائه في نفس العام، واستمرت في الصدور أقل من عام، ثم توقفت عن الصدور.

في عام ١٩٤٧ تحول المعهد الطبي إلى كلية الطب، فكان مرشد خاطر أول عميد لها. واستمر في التدريس فيها حتى تقاعده عام ١٩٥٨.



مبنى المعهد الطبي العربي

الفصل الثاني

مجلة المعهد الطبي العربي

من أهم إنجازات مرشد خاطر في المعهد الطبي العربي توليه رئاسة تحرير (مجلة المعهد الطبي) وإصدارها، إسوة بما هو موجود في أوربا، مهمتها نشر أحدث الأبحاث الطبية وتشجيع أساتذة وطلاب المعهد على خوض غمار البحث العلمي الطبي.

*** العدد الأول:**

صدر العدد الأول من المجلة في شهر كانون الثاني عام ١٩٢٤. وكان مرشد خاطر الشخص الوحيد فيها رئيس التحرير وهيئة التحرير والإداري. وحرص على أن تكون المجلة منبراً للأطباء العرب عامة، يتبادلون على صفحاتها خبراتهم الطبية، وجعل من المجلة أداة لنشر المعرفة الصحية بين القراء غير المتخصصين بلغة سهلة تكون في متناول الجميع. ولم يكن أي عدد يخلو من دراسات يكتبها أو يترجمها أساتذة المعهد كل في اختصاصه، أو من تقارير عن المؤتمرات الطبية التي تنعقد في دمشق أو خارج سورية وتوصياتها وقرارتها.

وحمل غلاف المجلة منذ عددها الأول العبارة التالية (مجلة المعهد الطبي العربي...تبحث في الطب والصيدلة وجميع فروعهما...تصدر في

دمشق مرة في الشهر). وفي الواقع لم يكن يصدر منها سوى عشرة أعداد في السنة، إذ إن المجلة كانت تتوقف عن الصدور في شهري آب وأيلول، وهما شهرا العطلة الصيفية للمعهد.

أما الغلاف الأخير فحمل المزيد من المعلومات عن المجلة، إذ يقول: "يصدرها في دمشق المعهد الطبي مرة في الشهر ماعدا شهري آب وأيلول". والاشتراك السنوي في المجلة ليرتان سوريتان في دمشق، أما في الخارج فالاشتراك السنوي ليرتان سوريتان وربع أو خمسون قرشاً مصرياً، ويحسم ٢٥ بالمئة لتلامذة المدارس. ونبه الغلاف الأخير إلى أن المراسلات في كل ما يتعلق بالإدارة باسم الدكتور رضا سعيد رئيس الجامعة السورية والمعهد الطبي، وكل ما يتعلق بالتحرير باسم رئيس تحريرها الدكتور مرشد خاطر أستاذ الأمراض الجراحية وسريرياتها في المعهد الطبي العربي.

*** أهداف المجلة:**

ووضحت الافتتاحية التي كتبها في العدد الأول الدكتور رضا سعيد عميد المعهد الطبي أهداف المجلة في ثلاث غايات، نوردها كما وردت في الافتتاحية:

١ – خدمة اللغة العربية الشريفة، هذه اللغة التي بلغت بفضل علمائها وأدبائها الأقدمين شأواً بعيداً في العلوم والآداب.

٢ – خدمة الطب والأطباء. فللطب في البلاد العربية ميدان فسيح، وللأقطار العربية أمراض خاصة بها.

٣ – خدمة الشعب، لأن الشعب الذي لا تلذ له قراءة المقالات الطبية، ولا يروقه الدخول في ذاك العالم الخفي، يجد في هذه المجلة لذة لعقله وفائدة لصناعته.

وكان مرشد خاطر يحرص على أن تنشر المجلة بصورة منتظمة جداول المصطلحات الطبية التي أقرتها اللجنة اللغوية في المعهد الطبي وتضع بجانبها الكلمات الأجنبية المرادفة لها، وتُطرح هذه المصطلحات للنقاش في العدد التالي. وكان يطلب من الأساتذة الفرنسيين الثلاثة الذين كانوا يقومون بالتدريس في المعهد الطبي أن يوافوه بعد كل إجازة لهم في فرنسا بمقالات عن مشاهداتهم الطبية في المشافي الفرنسية، وعن أحدث ما توصل إليه العلم الطبي هناك، أما الأطباء الفرنسيون الثلاثة فهم الدكتور (لوسيركل) أستاذ السريريات في المعهد الطبي، والدكتور(كليرفيل) أستاذ؟ والدكتور (ترابو) أستاذ السريريات الطبية.

وإضافة إلى دراسات أساتذة المعهد كان مرشد خاطر يحرص على نشر الأبحاث الطبية التي يترجمها الطلاب المتفوقون في المعهد عن اللغات الأجنبية. وكان من أبرز هؤلاء الدكتور عزة مريدن الذي أصبح فيما بعد أستاذاً في المعهد الطبي. وكانت صفحات المجلة مفتوحة لجميع الأطباء في سورية لنشر مقالاتهم وأبحاثهم الطبية بغية الارتقاء بالعلوم الطبية والحالة الصحية على حد سواء.

وكانت المجلة تحرص على تغطية حفلات بدء الدراسة في المعهد الطبي وحفلات التخرج السنوية، وتنشر الكلمات التي كانت تلقى فيها، وأسماء الخريجين والخريجات من المعهد. وهدف مرشد خاطر من كل ذلك أن تكون المجلة سجلاً وثائقياً وتاريخياً للمعهد وأساتذته وطلابه، ولكل النشاطات الطبية فيه. لذلك غدت المجلة مرجعاً هاماً لكل من يرغب بوضع دراسة أو مقال عن تعليم الطب في سورية في تلك المرحلة.

وفي استعراض سريع لمحتويات العدد الأول من (مجلة المعهد الطبي العربي)، نجده ضم المقالات والدراسات التالية:

- (نشأة المعهد الطبي ولمحة عن معاهد الطب في دمشق)، دراسة كتبها مرشد خاطر، وتناول فيها تاريخ المدارس الطبية في دمشق منذ عهد محمود نور الدين الزنكي عام (١١٥٥م/ ٥٥٠هـ).
- (الأمراض الزهرية) للدكتور جميل الخاني.
- (معالجة ضخامة غدة البروستات برونتجن) طاهر الجزائري.
- (المخابر والتشخيص) للدكتور أحمد سامي الساطي.
- (الجراحة) للدكتور ابراهيم حقي الساطي.
- (تاريخ الطب عند الأمم القديمة) للكاتب عيسى إسكندر المعلوف اللبناني عضو المجمع العلمي العربي.
- (الجراثيم) للدكتور أحمد حمدي الخياط.
- (اللغة العلمية)........

*** تبويب المجلة:**

لم تكن المجلة خاضعة لتبويب معين، بل كانت المقالات والدراسات تنشر متتالية، بغض النظر عن موضوعاتها. أما اللافت للنظر فهو طريقة تبويب الأعداد المتتالية.

كانت المجلة تطبق الأسلوب السائد في ذاك الوقت، فيما يتعلق بتبويب الأعداد المتتالية. فاليوم يحمل أي عدد من أية مجلة الترقيم من الصفحة (١) حتى الصفحة الأخيرة، ويأتي العدد التالي ليبدأ ترقيم صفحاته

من الرقم (١) وهكذا...أما في مجلة المعهد فيبدأ العدد الأول بالصفحة رقم (١) حتى آخر صفحاته، ثم يأتي العدد الثاني ليبدأ ترقيم صفحاته من العدد الذي يلي رقم آخر صفحة من العدد الأول، وهكذا بقية الأعداد. فإذا أخذنا العدد الأول، وجدناه يبدأ بالصفحة رقم (١)، وينتهي بالصفحة رقم (٦٣)، ويبدأ العدد الثاني بالصفحة رقم (٦٤)...ويستمر ترقيم الأعداد التالية بنفس الأسلوب حتى نهاية السنة، عندها يكتمل المجلد الذي يحمل رقم السنة، فالمجلد (١) يضم أعداد السنة الأولى، والمجلد (٢) يضم أعداد السنة الثانية وهكذا. وفي السنة التالية يبدأ ترقيم صفحات الأعداد من جديد، ابتداء من الرقم (١). وتسمى أعداد كل سنة مجلداً، أما العدد فيسمى جزءاً، وكأن أعداد السنة هي كتاب صدر في أجزاء. فيكتب مثلاً عن العدد الثالث في السنة الرابعة (المجلد ٤ – الجزء ٣).

*** تعثر المجلة:**

منذ مطلع عام ١٩٤٥ بدأت المجلة تتعثر في صدورها، فأصبحت تصدر في عدد مزدوج كل شهرين مرة، بسبب أزمة الورق وأزمات أخرى نتجت عن وقوع الحرب العامية الثانية. وأشار مرشد خاطر إلى تلك الصعوبات في الافتتاحية التي كتبها في العدد المزدوج الأول لشهري أيار وحزيران، حين قال "اجتازت مجلتنا سنتها التاسعة عشرة متغلبة على الصعوبات الجمة التي قامت في وجهها...". وبذلك نجد أن المجلة توقفت عن الصدور في ذاك العام من أوله وحتى شهر أيار، لتعود للصدور بعدد مزدوج في شهري أيار وجزيران ضم الجزأين (١و٢) من المجلد ٢٠، واستمرت بعد ذاك بالصدور بأعداد مزدوجة، وضم (المجلد ٢٠) الأعداد حتى العدد المزدوج (٩و١٠) ولشهري آذار ونيسان ١٩٤٦.

والمجلد (٢١) بدأ بالعدد المزدوج (١و٢) لشهري أيار وحزيران ١٩٤٦، وضم خمسة أعداد مزدوجة، آخرها العدد (٩و١٠) لشهري أذار ونيسان عام ١٩٤٧، وهنا أعلنت المجلة أنها ستتوقف نهائياً عن الصدور لأسباب قاهرة، بعبارة مقتضبة تضمنتها الصفحة الأخيرة من العدد الأخير، حين قالت "تنبيه: ستتوقف المجلة عن الصدور بعد الآن لأسباب قاهرة".

ولكن ما هي الأسباب القاهرة التي كانت وراء توقف المجلة عن الصدور. وهل هناك أفضل من الدكتور مروان المحاسني ليجيبنا على هذا السؤال، وهو الذي عايش الدكتور مرشد خاطر، وكان مقرباً منه عندما كان طالباً في المعهد الطبي العربي؟ أفادني الدكتور محاسني أن المرض بدأ يدب في جسم الدكتور مرشد خاطر، وكان قد قارب الستين من عمره، وهو الذي يقوم بأعباء المجلة كافة، يتسلم المقالات والدراسات والأبحاث الطبية، فيدققها لغوياً، ويتابع طباعتها خطوة بخطوة في المطبعة. ولم يكن له مساعد أو معين، هذا إضافة إلى الأعباء الأخرى التي كان يتحملها في التدريس في المعهد وتأليف وترجمة الكتب الطبية. ولم تعد حالته الصحية تساعده على تحمل كل هذه الأعباء، فكان قرار التخلي عن عمله في المجلة. ولما لم يتبرع أحد لتولي الإشراف عليها، كانت نهايتها الحزينة، وهي التوقف عن الصدور.

*** كتّاب المجلة:**

لم يكن نشر الدراسات الطبية في مجلة المعهد الطبي حكراً على أساتذة المعهد، وإنما كانت صفحاتها مشرعة لجميع الأطباء والباحثين في الشأن الطبي، حتى على الصعيد العربي، وكتب فيها عدد من الأطباء والباحثين من عدة بلدان عربية. وفيما يلي أسماء الكتاب الذين نشروا دراساتهم في المجلة

منذ صدور عددها الأول عام ١٩٢٤، حتى توقفها عام ١٩٤٧، والصفة العلمية لكل منهم، وهؤلاء استمروا في الكتابة في المجلة عدة سنوات، وقسم منهم استمر حتى توقف المجلة عن الصدور:

١- الدكتور مرشد خاطر: أستاذ الأمراض الجراحية وسريرياتها في المعهد الطبي العربي.

٢- الدكتور محمد جميل الخاني: أستاذ الأمراض الجلدية والأفرنجية في المعهد الطبي العربي.

٣- طاهر الجزائري: عضو المجمع العلمي العربي.

٤- الدكتور أحمد سامي الساطي.

٥- الدكتور إبراهيم حقي الساطي: أستاذ علم أمراض النساء وفن القبالة في المعهد الطبي العربي.

٦- الدكتور أحمد حمدي الخياط: أستاذ فن الجراثيم وعلم الصحة في المعهد الطبي العربي.

٧- الكيمياوي عبد الوهاب قنواتي: أستاذ الكيمياء في المعهد الطبي العربي.

٨- الدكتور ميشال شامندي: أستاذ الطب الشرعي وفن المداواة في المعهد الطبي العربي.

٩- الدكتور عبد القادر سري: أستاذ أمراض الأذن والأنف والبلعوم والحنجرة وسريرياتها وعلم التشريح في المعهد الطبي العربي.

١٠- الصيدلي الكيمياوي شوكة الجراح: أستاذ كيمياء في المعهد الطبي العربي.

١١- عيسى اسكندر معلوف: عضو المجمع العلمي العربي.

١٢- الصيدلي صلاح الدين مسعود الكواكبي: الأستاذ في المعهد الطبي.

١٣- الدكتور سليم أبي سلمان - زحلة (لبنان).

١٤- الصيدلي توفيق مندي.

١٥- الشفالييه دي رعد: أستاذ الكيمياء في المعهد الطبي الفرنسي ببيروت.

١٦- الدكتور مصطفى شوقي: أستاذ فن الأنسجة وعلم التشريح في المعهد الطبي العربي.

١٧- الأب أنستاس ماري الكرملي - بغداد.

١٨- الدكتور أحمد برجاوي - بيروت.

١٩- أمين معلوف: مدير الأمور الطبية في الجيش العراقي.

٢٠- الدكتور ترابو (فرنسا): طبيب المستشفيات العسكرية في فرنسا.

٢١- الدكتور لوسركل (فرنسا): أستاذ السريريات الجراحية في المعهد الطبي العربي.

٢٢- الدكتور أسعد الحكيم: طبيب في مستشفى ابن سينا.

٢٣- الصيدلي عبد الحميد قنباز - حماة.

٢٤- الأستاذ إسعاف النشاشيبي.

٢٥- الدكتور ميشيل خوري: أستاذ في شعبة طب الأسنان في المعهد الطبي العربي.

٢٦- الدكتور شوكة موفق الشطي: أستاذ التشريح المرضي والأنسجة وتكوين الجنين في المعهد الطبي العربي.

٢٧- الدكتور جود: أستاذ السريريات العصبية والعقلية في المعهد الطبي العربي.

٢٨- الدكتور دفيد بينتو: طبيب في مستشفى القديس لويس بدمشق.

٢٩- الدكتور تانون: أستاذ مُرشّح في معهد الطب بباريس.

٣٠- الدكتور غوستاف جينستاي: أستاذ في شعبة طب الأسنان في المعهد الطبي العربي.

٣١- الدكتور أحمد منيف العائدي: أستاذ الغريزة في المعهد الطبي العربي.

٣٢- الدكتور عفيف ايليا: أستاذ في شعبة طب الأسنان في المعهد الطبي العربي.

٣٣- الدكتور أحمد عيسى بك - مصر.

٣٤- الدكتور انستانس شاهين: رئيس سريريات أمراض الأذن والأنف والحنجرة في المعهد الطبي العربي بدمشق.

٣٥- الدكتور أحمد كبارة: الاختصاصي بأمراض العين من باريس.

٣٦- الدكتور ابراهيم قندلفت: رئيس مخبر طب الأسنان في المعهد الطبي العربي بدمشق.

٣٧- الدكتور كمال زودة – طرابلس الشام.

٣٨- الدكتور نجاة ابراهيم الصفدي: دكتور في طب الأسنان وجراحتها.

٣٩- الدكتور عبد القادر الصباغ: طبيب في الجيش الفرنسي السوري.

٤٠- الدكتور كامل سليمان الخوري – نيويورك.

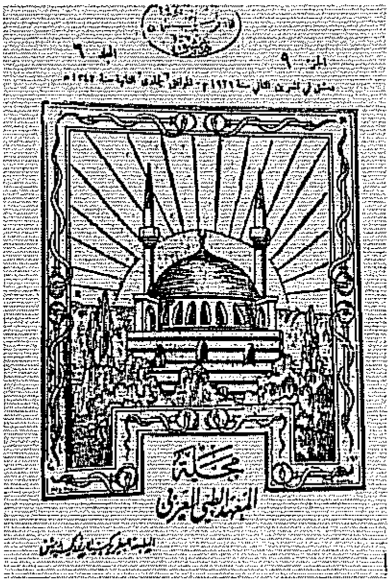
٤١- داوود الجلبي: عضو المجمع العلمي العربي.

٤٢- الدكتور صدقي الطرقجي: رئيس مؤسسة الطب الشرعي.

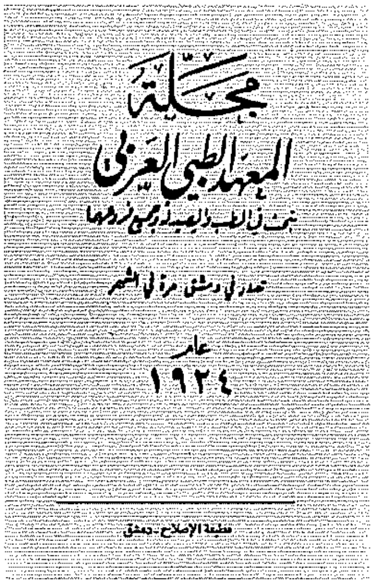
٤٣- الدكتور حسن الروماني: عضو جمعية طب الأسنان السورية.

٤٤- الدكتور مصباح أديب المالح: عضو جمعية طب الأسنان السورية.

وكما كتب في المجلة كل من موفق المالكي، وإدوار طرزي، وشفيق البابا، ووليم نخمن، وجان سيناره، ومنير شورى، والدكتور حسني سبح، والدكتور نظمي القباني، وفيصل الصباغ، والدكتور عزة مريدن، ومحمد محرم، وإيلي نعمان، وحنين عرقنجي، والدكتور بشير العظمة، والدكتور مدني الخيمي، وسامي السباطي، وعبد الحميد العاقل، والدكتور إبراهيم حقي، والدكتور جمال الدين الفحام من العراق. وكتب في المجلة عدد من الطلبة المبرزين في الدراسة، منهم الطالبان عدنان حيدر وعبد الغني ماجد السروجي.



مجلة المعهد الطبي –
الغلاف الخارجي



مجلة المعهد الطبي –
الغلاف الداخلي العدد الأول

الفصل الثالث

مؤلفات مرشد خاطر

اعتمدنا في كلامنا عن مؤلفات مرشد خاطر الطبية على المؤلفات نفسها الموجودة في مكتبة الأسد الوطنية. وتبين لنا أن الكتب أو المقالات التي تحدثت عن هذه المؤلفات عانت نقصاً أو وجود أخطاء في أسماء الكتب ومحتوياتها. لذلك سعينا إلى إيراد تفصيلات كافية عن كل كتاب من الكتاب نفسه، بغية تقديم لمحة وافية عنه لمن يحتاجها. وتوزعت كتب مرشد خاطر ما بين كتب ألفها وأخرى ترجمها. وهذه الكتب مرتبة حسب سنة طبعتها الأولى.

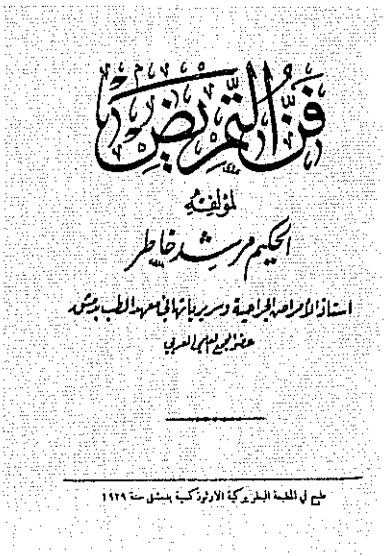
*** فن التمريض:**

- تأليف: الحكيم مرشد خاطر أستاذ الأمراض الجراحية وسريرياتها في معهد الطب بدمشق، عضو المجمع العلمي العربي.

- طبع في المطبعة البطريركية الأرثوذكسية بدمشق سنة ١٩٢٩.

- يقع الكتاب في / ٤١٦/ صفحة من القطع المتوسط.

تناول الكتاب مختلف جوانب العملية التمريضية للمريض، من لحظة دخوله المشفى وحتى خروجه منها. أولاً في الجانب الخدمي مثل تغذية المريض والعناية بنظافته، وثانياً في الجانب الطبي كإعطائه الأدوية والحقن بأنواعها وتضميد الجروح والتخدير، وعمليات تحليل البول والدم وغيرها. وتضمن الكتاب في نهايته فهرساً للمصطلحات الطبية الواردة في الكتاب، مرتبة حسب الأبجدية.



فن التمريض

وقد أعيد طبع الكتاب مرتين. طبعة ثانية منقحة عن الجامعة السورية، وطبعة ثالثة مزيدة ومنقحة عن جامعة دمشق عام ١٩٦٥.

* السريريات والمداوة الطبية:

– تأليف: الدكتور ترابو (من فرنسا) أستاذ السريريات الطبية وطبيب المستشفيات العسكرية وعضو مراسل وطني لجمعية المستشفيات في باريز.

– ترجمة: مرشد خاطر الأستاذ في المعهد الطبي العربي وعضو المجمع العلمي العربي، وشوكة موفق الشطي الأستاذ في المعهد الطبي العربي.

– طبع الكتاب في المطبعة البطريركية الأرثوذكسية بدمشق عام ١٩٣٠.

يتألف الكتاب من سبعة أبواب، وكل باب يضم عدداً من الفصول حسب نوع المرض وطريقة مداواته. وضم فهرساً مرتباً وفق الأبجدية العربية (ا، ب، ت، ث....) لأسماء الأمراض الواردة في الكتاب.


كتاب
في
السريريات والمداواة الطبية
مرشد خاطر
شوكة موفق الشطي

السريريات والمداواة الطبية

وتحت عنوان (كلمة لابد منها) أشاد مؤلفو الكتاب بالأب انستاس ماري الكرملي، الذي كان له الفضل في اختيار العبارة العربية الصحيحة لكل مسمى طبي. وأشاروا إلى اعتمادهم على كتاب (فن الجراثيم) لمؤلفه الدكتور حمدي بك الخياط، إذ استفادوا من المصطلحات الطبية المعربة في الكتاب، واستخدموها في كتابهم هذا.

* إصلاح النسل:

- تأليف: مرشد خاطر أستاذ الأمراض الجراحية وسريرياتها في المعهد الطبي العربي، ورئيس تحرير مجلته، وعضو في المجمع العلمي.

- طبع في المطبعة البطريركية الأرثوذكسية في دمشق سنة ١٩٣٥.

- يقع الكتاب في / ١٥٤/ صفحة من القطع الصغير.

يقصد المؤلف من عبارة (إصلاح النسل) الوصول إلى أبناء سليمين أصحاء من الناحية الجسدية والنفسية والعقلية، وفي الملامح. أما دافعه لوضع هذا الكتاب، فيلخصه ما جاء في المقدمة:



إصلاح النسل

"هذا ما حدا بي إلى طرح هذا الموضوع، بعد أن رأيت بعين الحزن ناشئتنا تتدهور في هوة التأخر، بعد أن رأيت الأمراض والعاهات تقوض بناء الجسد، وتدكّ صروح العقل، وتشلّ قوى النفس. مؤملاً أن يكون للخاطبين والمتزوجين منه الفائدة التي أتوخاها. فإذا كنا نريد الحياة الحرة، فلن نبلغها إلا بإصلاح نسلنا".

يتناول الكتاب العوامل التي تؤثر في تكوين جسم الإنسان، من الناحية الجسدية (القوة والضعف)، أو من الناحية العقلية (الذكاء)، ومن الناحية النفسية والأخلاقية، وفي الشكل الخارجي (الملامح حسنها وقبحها)، ليصل في النهاية إلى أفضل السبل لتحسين هذه الجوانب في الإنسان. ويضم الكتاب خمسة عشر فصلاً.

* موجز الأمراض الجراحية - الجزء الأول:

- تأليف مرشد خاطر أستاذ السريريات الجراحية في معهد الطب وعضو المجمع العلمي العربي بدمشق، ومنير شورى رئيس السريريات في معهد الطب بدمشق.

- طبع في مطبعة الجامعة السورية عام ١٩٣٦.

- يقع الكتاب في ٩٥٩ صفحة.

يتألف من ثمانية فصول، تتناول الأمراض التي تحتاج للجراحة، ويشرح المشاكل التي قد تنجم عن الجراحة مثل الصديد والقيح والتعفن، وكيفية تجنبها أو التعامل معها إن حدثت. وتضمنت الفصول العشرات من الصور التوضيحية.

*** الأمراض الجراحية (خمسة أجزاء):**

- تأليف مرشد خاطر.

- طبعت الأجزاء الخمسة ما بين عامي ١٩٣٦ و١٩٣٧.

١- الجزء الأول: الأمراض الجراحية العامة.

٢- الجزء الثاني: جراحة الرأس والعمود الفقري والصدر.

٣- الجزء الثالث: كسور الأطراف وخلوعها وآفاتها.

٤- الجزء الرابع: جراحة الرأس والعمود الفقري والصدر والثديين.

٥- الجزء الخامس: أمراض البطن الجراحية.

*** موجز الأمراض الجراحية – الجزء الثاني:**

- تأليف مرشد خاطر أستاذ أمراض السريريات الجراحية في معهد الطب وعضو المجمع العلمي العربي بدمشق، ومنير شورى رئيس السريريات في المعهد الطبي بدمشق.

- طبع في مطبعة الجامعة السورية بدمشق عام ١٩٤٦.

- يقع الكتاب في ٩٨٦ صفحة.

تضمن ثمانية أبواب وستة وثلاثين فصلاً، وتناول العمليات الجراحية في الرأس والعمود الفقري والصدر والثديين والبطن وجهاز البول وجهاز التناسل عند الرجل. كما ضم فهرساً للمواد مرتبة على حروف المعجم العربي.

تناول الكتاب الإصابات التي تستوجب عمليات جراحية في الرأس والعمود الفقري والصدر والثديين والبطن وجهاز البول وجهاز التناسل، كما تناول أمراض كل جزء من أجزاء الجسم والإصابات التي يمكن أن يتعرض لها، من استسقاء والتهابات وأورام وانسدادات وقروح وغيرها. وزوّد كل فصل بالرسوم التوضيحية المناسبة.



موجز الأمراض الجراحية

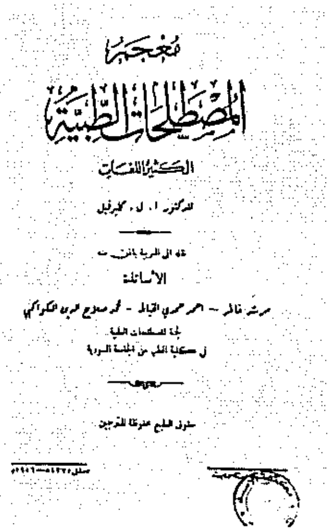
*** معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات:**

- تأليف: الطبيب الفرنسي الدكتور ألكس كليرفيل.

- نقله إلى العربية: الدكتور مرشد خاطر والدكتور أحمد حمدي الخياط والدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي.

- طبع في مطبعة الجامعة السورية عام ١٩٥٦.

ما يميز وضع هذا المعجم، أنه نُقِل إلى العربية بوجود مؤلفه د. كليرفيل الذي كان يقوم بالتدريس في المعهد الطبي، إذ كان يتابع خطوات التعريب، وأتاح ذلك للدكتور كليرفيل أن يضع مقدمة للمعجم، أشاد فيها بجهود الأطباء الثلاثة الذين نقلوا المعجم إلى العربية. واعتبر ذلك النقل تلاقحاً خلاقاً بين الثقافتين العربية والفرنسية مشيداً بجهود فلاسفة العرب وأطبائهم القدامى الذين أغنوا الحضارة الإنسانية بعطاءاتهم الطبية.



معجم العلوم الطبية
الكثير اللغات

وقد رتب المعجم حسب الأبجدية اللاتينية . وضم مصطلحات طبية في أربع لغات أوربية، هي الفرنسية والانكليزية والألمانية واللاتينية ومقابلاتها العربية. ويقع المعجم في / ٩٦٠/ صفحة، ويضم / ١٤٥٣٤/ مصطلحاً طبياً.

سعى مرشد خاطر إلى تحري المعنى الصحيح لكل مصطلح أجنبي من مصطلحات المعجم، وإيجاد المقابل العربي له الموافق لمعنى المصطلح الأجنبي. وعمد في ذلك إلى قواعد اللغة العربية، فلجأ أحيانا إلى اشتقاق كلمة موافقة للمصطلح الأجنبي، وفق قواعد الاشتقاق في اللغة العربية. فاعتمد اسم الآلة الموافق لمعنى المصطلح الأجنبي مثل (المَنْبَذة) على وزن

مفعلة و(المِمَصّ) على وزن مفعل، وفي أحايين أخرى استخدم كلمات على أوزان معروفة، وعلى سبيل المثال أخذ وزن الفعل السداسي (استفعل)، واعتمد منه مصدره (استفعال)، وأطلق أسماء بعض الإجراءات الطبية على وزنه، مثل (استشفاء) و(استلقاح) و(استمصال). ولم يلجأ إلى اسلوب تعريب المصطلح، أي أنه لم يعمد إلى اشتقاق المصطلح العربي من لفظة المصطلح الأجنبي. ولكي أوضح هذه النقطة أضرب مثالاً على تعريب الاسم أو المصطلح، أي اشتقاق اللفظ العربي من اللفظ الأجنبي، فكلمة (تلفزيون أو التلفاز) مشتقة من التسمية الانكليزية (television). أما الرموز الكيمياوية فتركها على حالها بلغاتها الأجنبية.

* معجم العلوم الطبية:

- فرنسي عربي.
- تأليف مرشد خاطر وأحمد حمدي الخياط.

- النسخة التي الموجودة في مكتبة الأسد طبعت في مطبعة وزارة التعليم العالي، ولا ليس عليها تاريخ طباعتها، ولكنها تضمنت مقدمة كتبها وزير التعليم العالي آنذاك الدكتور مصطفى حداد. وإذا عرفنا أن الدكتور مصطفى حداد تولى منصب وزير التعليم العالي مابين ٢٩ أيار ١٩٦٩ و١٥ تشرين الثاني ١٩٧٠، حصلنا على تاريخ تقريبي لطباعة هذه النسخة. وهذه الطبعة ليست طبعة رسمية، فهي بدون غلاف كما تطبع الأمالي الجامعية، وقد جاء طبع المخطوط كما هو دون إخراج للحفاظ عليه من التلف أو الضياع.

ويحتوي على مصطلحات العلوم الطبية الحديثة، من تشريح وغرائز ونسج وجنين وكيمياء حيوية وجراثيم وطفيليات، وتشريح مرضي وطب

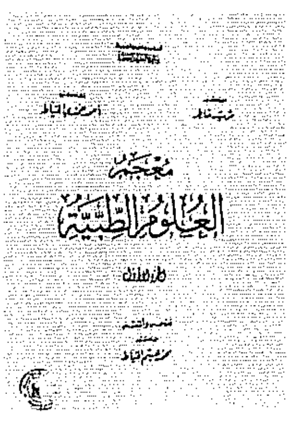
باطني، وتخدير وتوليد، وأمراض نسائية وجلدية وأذنية وعينية، وطب الأطفال والصحة العامة والطب الوقائي والطب الشرعي، وأدوية ومداواة وأشعة وتاريخ الطب، وكل ماله صلة بالطب من نباتات وحيوان وكيمياء وفيزياء وغير ذلك. والمعجم مرتب على أحرف الهجاء الفرنسية. ويشمل إلى جانب كل مصطلح مقابله بالعربية. كما يشتمل على فهرس للألفاظ العربية وآخر للألفاظ الإنكليزية التي ورد ذكرها فيه.

*** معجم العلوم الطبية:**

- تأليف الدكتور مرشد خاطر والدكتور أحمد حمدي الخياط، نقحه وأتمه محمد هيثم الخياط.

- طبع في مطبعة جامعة دمشق طبعة أولى عام ١٩٧٤.

هذا المعجم هو توسيع وتنقيح للمعجم السابق. وكان في الأصل معجماً للمصطلحات الطبية باللغتين العربية والفرنسية. وبعد رحيل مرشد خاطر، أسند الدكتور أحمد حمدي الخياط توسيع المعجم وتنقيحه إلى نجله الدكتور محمد هيثم الخياط. فقام الأخير بإضافة المصطلحات الطبية الجديدة التي نشرت في (مجلة المعهد الطبي) بعد المعجم الأول، وكان المعجم السابق يضم عمودين، واحد للغة العربية وآخر للفرنسية، فأضاف عموداً ثالثاً للغة الانكليزية. فأصبح المعجم (عربي انكليزي فرنسي). وضم المعجم الجديد (١٥٢٢٨) مصطلحا.



معجم العلوم الطبية

وهناك بعض الكتب لم نعثر لها على أية نسخة، نوردها كما وردت في أرشيف الدكتور خاطر في مجمع اللغة العربية دون أية شروح:

*** مختصر أمراض النساء:**

- تأليف: لوسركل.
- ترجمة: مرشد خاطر.

*** أمراض جهاز البول:**

- تأليف: لوسركل.
- ترجمة: مرشد خاطر.

*** الأمراض الجلدية:**

يقع في ستة مجلدات.

*** جراحة أنبوب الهضم:**

مترجم عن اللغة الفرنسية.

*** الدروس العملية في الأمراض النسائية:**

مترجم عن اللغة الفرنسية.

*** الداء وسر العملية في الأمراض الولادية:**

مترجم عن اللغة الفرنسية.

الفصل الرابع

دراسات وأبحاث ومقالات

وضع مرشد خاطر الكثير من الدراسات والأبحاث والمقالات الطبية باللغة العربية، نشرت في العديد من المجلات السورية والعربية. وخطَّ العديد من الدراسات باللغة الفرنسية، نشرها في (مجلة المجمع الطبي الفرنسي). وفي للدراسات والأبحاث والمقالات، نسبت إليه بعض المقالات التي ليست له. لذلك اعتمدنا على مراجعة المجلتين اللتين التي نُشِرت فيهما أبحاثه عدداً عدداً، (مجلة المجمع العلمي العربي) و(مجلة المعهد الطبي العربي بدمشق). وفيما يلي نبذ عن الدراسات والأبحاث والمقالات التي نشرها. ونبدأ أولاً بـ (مجلة المجمع العلمي العربي)، ثم (مجلة المعهد الطبي العربي بدمشق).

* مجلة المجمع العلمي العربي

بلغ عدد الأبحاث والمقالات التي نشرها مرشد خاطر في مجلة المجمع العلمي العربي العشرين، نورد فيما يلي نبذة عن كل منها مرتبة حسب تسلسلها الزمني:

١ - الحمى المرزغية وكيفية الوقاية منها:

محاضرة ألقاها في قاعة المجمع في أول تموز عام ١٩٢١. و(الحمى المرزغية) هو الاسم العلمي للمرض المعروف (الملاريا). ونشرتها مجلة المجمع في الجزء (العدد) السادس من المجلد الأول الصادر في حزيران عام ١٩٢١. (المرزغ = المستنقع).

٢ - بريطون وحرصيان أو خِرصيان:

مقال كتبه، يُعقِّب فيه على مقالة للأب انستاس ماري الكرملي في شرحه لكلمة (Peritoine) الفرنسية، والتي يعربها المعربون العصريون بـ (البريطون)، الذي هو غشاء مصلي يغلف الأحشاء البطنية. وأوضح مرشد خاطر أن العرب استخدموا كلمة (حرصيان) أو (خِرصيان) لنفس الغشاء، واقترح أن تكون إحدى هاتين الكلمتين تعريباً لكلمة (بريطون). ونشر المقال في الجزء الأول من المجلد الرابع الصادر في كانون الثاني عام ١٩٢٤.

٣ - كتاب (علم الغريزة — فسيولوجيا):

مقال تضمن قراءة في كتاب (علم الغريزة — فسيولوجيا) لمؤلفه الحكيم أحمد منيف العائدي أستاذ علم الفسيولوجيا في المعهد الطبي العربي بدمشق، نشر في الجزء السادس من المجلد السابع الصادر في حزيران عام ١٩٢٧.

٤ - تأثير الطرق في هواء المدن:

محاضرة ألقاها مرشد خاطر في قاعة المجمع العلمي العربي بتاريخ ٩ آذار ١٩٢٣. ونشرتها مجلة المجمع في الجزء السابع من المجلد الثامن الصادر في تموز ١٩٢٨. وتتناول المحاضرة تأثير الطرق في هواء المدن بما تقذفه في

الهواء من غبار ومواد ضارة للإنسان. ويرى العلاج في تعبيد الطرق ورصف الأرصفة جيداً، إضافة إلى الاعتناء بتنظيفها دائماً.

٥- هواء المدن:

محاضرة ألقاها في قاعة المجمع في شباط ١٩٢٣، ونشرتها مجلة المجمع في الجزء العاشر من المجلد التاسع الصادر في أيلول ١٩٢٩. وهذه المحاضرة سبقت زمنياً محاضرة (تأثير الطرق في هواء المدن)، لكنها نشرت بعدها. والمحاضرتان تكمل إحداهما الأخرى فيما يتعلق بتلوث هواء المدن وسبل الوقاية منه.

٦- أشعة رونتجن:

مقال تضمن قراءة في كتاب (تشخيص الأمراض الباطنة – الجزء الأول) لمؤلفه الدكتور محمد فريد الذي يتحدث عن تشخيص الأمراض الباطنية باستخدام أشعة رونتجن. ونُشر المقال في الجزء الثامن من المجلد الحادي عشر الصادر في آب ١٩٢٢.

٧- الذخيرة في الطب:

مقال تضمن عرضاً لكتاب (الذخيرة في الطب) للطبيب العربي ثابت بن قرّه (٨٣٥ – ٩٠٠م). يُعرّف بالكتاب وبمؤلفه ثابت بن قرة. نشر في الجزء المزدوج (الأول والثاني) من المجلد السابع عشر الصادر في شباط ١٩٤٢.

٩- معجم الألفاظ الزراعية بالفرنسية والعربية:

مقال تضمن قراءة في كتاب (معجم الألفاظ الزراعية بالفرنسية والعربية) لمؤلفه مصطفى الشهابي، نشر في الجزء المزدوج (الخامس والسادس) من المجلد التاسع عشر الصادر في حزيران ١٩٤٤.

١٠- موجز الطب الجراحي:

مقال تضمن قراءة في كتاب (موجز الطب الجراحي) لمؤلفه الدكتور نظمي القباني الأستاذ في المعهد الطبي العربي بدمشق. نشر في الجزء المزدوج (الخامس والسادس) من المجلد الحادي والعشرين الصادر في حزيران ١٩٤٦.

١١- فن التوليد:

مقال تضمن قراءة في كتاب (فن التوليد) لمؤلفيه الدكتور شوكة القنواتي أستاذ فن التوليد وأمراض النساء وسريرياتها في المعهد الطبي العربي بدمشق والدكتور محمود مظفر برمدا مساعد شعبة التوليد وأمراض النساء وسريريتها في معهد الطب العربي. نشر في الجزء المزدوج (الخامس والسادس) من المجلد الحادي والعشرين الصادر في حزيران ١٩٤٩.

١٢- علم الأمراض الباطنة:

مقال تضمن قراءة في كتاب (علم الأمراض الباطنة – الجزء السادس) لمؤلفه الدكتور حسني سبح رئيس الجامعة السورية وأستاذ الأمراض الباطنة في كلية الطب، نشر في الجزء الثاني من المجلد الثالث والعشرين الصادر في نيسان ١٩٤٨.

١٣- موجز علم الأمراض الباطنة:

مقال تضمن قراءة في كتاب (موجز علم الأمراض الباطنة – الجزء الأول) لمؤلفيه الدكتور حسني سبح والدكتور بشير العظمة. نشر في الجزء الثاني من المجلد الثالث والعشرين الصادر في نيسان ١٩٤٨.

١٤ - التشريح الطبي الجراحي:

مقال تضمن قراءة في كتاب (التشريح الطبي الجراحي) لمؤلفه الدكتور مصطفى شوقي. نشر في الجزء الثالث من المجلد الثالث والعشرين الصادر في تموز ١٩٤٨.

١٥ - مصطلحات علمية:

مقال تضمن قراءة في كتاب (مصطلحات علمية) لمؤلفه الصيدلي الكيميائي الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي. نشر في الجزء الرابع من المجلد الثالث والعشرين الصادر في تشرين الأول ١٩٤٨.

١٦ - موجز في الكيمياء الحيوية:

مقال تضمن قراءة في كتاب (موجز في الكيمياء الحيوية لشعبة طب الأسنان) لمؤلفه الصيدلي الكيميائي الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي. نشر في الجزء الرابع من المجلد الثالث والعشرين الصادر في تشرين الأول ١٩٤٨.

١٧ - ملاحظات مقتضبة على مصطلحات علم الأمراض المدرجة:

مقال عقّب فيه مرشد خاطر على ما نشرته مجلة فؤاد الأول من مصطلحات طبية عربها نخبة من علماء المجمع العلمي في القاهرة، قارن بينها وبين ما قام به مجمع دمشق من تعريب للمصطلحات نفسها، صوّب ما ارتآه غير مناسب منها. نشر المقال في الجزء الأول من المجلد السادس والعشرين الصادر في كانون الثاني ١٩٥١. ومجلة (فؤاد الأول) تصدر عن المجمع العلمي العربي في القاهرة.

١٨ - ملاحظات على مصطلحات طبية:

مقال يُبدي فيه رأيه بمجموعة من المصطلحات في علم الأمراض، كانت مجلة المجمع قد نشرتها في جزء سابق، نشر في الجزء الرابع من المجلد التاسع والعشرين لشهر تشرين الأول ١٩٥٤.

١٩ - المصطلحات العلمية في اللغة العربية:

مقال تضمن قراءة في كتاب (المصطلحات العلمية في اللغة العربية) لمؤلفه مصطفى الشهابي عضو المجمع العلمي في دمشق. والكتاب يضم بين دفتيه مجموعة من المحاضرات ألقاها المؤلف على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية في معهد الدراسات العربية العالمية في القاهرة. نشر المقال في الجزء الثاني من المجلد الثلاثين الصادر في نيسان ١٩٥٥.

٢٠ - معجم الألفاظ الزراعية:

مقال تضمن قراءة في معجم (الألفاظ الزراعية بالفرنسية والعربية) لمؤلفه مصطفى الشهابي، في طبعته الثانية التي طبعت في القاهرة عام ١٩٥٧. أما الطبعة الأولى فصدرت في دمشق قبل ذلك أربعة عشر عاما. نُشر المقال في الجزء الثالث من المجلد الثاني والثلاثين الصادر في تموز ١٩٥٧. وهذا آخر ماكتبه مرشد خاطر في مجلة المجمع قبل رحيله.

* مجلة المعهد الطبي

نشر مرشد خاطر الكثير من الدراسات والأبحاث الطبية في (مجلة المعهد الطبي العربي) التي كان يرأس تحريرها كما ذكرنا. وعكفتُ على مجلدات المجلة في مكتبة الأسد أحصيها عدداً عدداً. وكان بودي أن أسرد هنا كل ما كتب في المجلة أسوة بما فعلت في (مجلة المجمع العلمي العربي)،

لكن ما نشره في مجلة المعهد كثير جداً، إذ لم يخل عدد من أعداد المجلة من دراسة أو مقال أو أكثر له، بل إن العديد من أعداد المجلة كانت بتمامها من تحريره. لذلك اخترت أهم الدراسات الطبية التي نشرها في أعداد المجلة، لأتوقف عندها، وضربت صفحاً عن الباقي.

١ - نشأة معهدنا الطبي ولمحة عن معاهد الطب بدمشق:

دراسة تاريخية عن المدارس الطبية في دمشق، نُشرت في الجزء الأول من المجلد الأول لشهر كانون الثاني ١٩٢٤.

٢ - مداواة التهاب الحويضة والكلية بالكولارغول collargol:

دراسة نشرت في الجزء الأول من المجلد الأول لشهر كانون الثاني ١٩٢٤.

٣- طريقة فورونوف[1] الجراحية:

دراسة طويلة نُشرت على ثلاث حلقات في الأجزاء الثالث والخامس والسادس لأشهر آذار وأيار وحزيران من المجلد الأول لعام ١٩٢٤. وفيها تناول طريقة الطبيب فورنوف في إجراء العمليات الجراحية.

٤ - الضنك والبعوض:

دراسة وضعها مرشد خاطر بالمشاركة مع الطبيب الفرنسي ترابو الأستاذ في المعهد الطبي العربي، ونشرتها مجلة المعهد الطبي في الجزء السابع من المجلد السادس لعام ١٩٢٩.

---

(١) سيرجي فورونوف: طبيب روسي وعالم بوظائف الأعضاء (١٨٦٦-١٩٥١).

والدراسة تضمنت تعقيباً على دراسة نُشرت في نفس الجزء للدكتور رئيف أبي اللمع الأستاذ في الجامعة الأمريكية ببيروت. وهذه الدراسة بدورها تستعرض ما تم بحثه في مؤتمر القاهرة الطبي عن هذا المرض. والضنك هو مرض ينتقل بواسطة البعوض، يسبب حمى شديدة وطفح جلدي، ويسبب ألماً في المفاصل والعضلات، ويحدث في المناطق الاستوائية وشبه الاستوائية.

٥- السرطان وبعض ملاحظات عن أسبابه:

دراسة وضعها مع الدكتور شوكة الشطي الأستاذ في المعهد الطبي. ونُشرت في الجزء الثالث من المجلد السابع لشهر آذار ١٩٣٠.

٦- التخدير القطبي في مستشفى دمشق العام:

دراسة نشرها في الجزء الثامن من المجلد السابع لشهر تشرين الثاني ١٩٣٠.

٧- ضرر الأشربة الروحية:

محاضرة ألقاها في النادي الكاثوليكي بدمشق، بدعوة من رئيسة جمعية منع المسكرات، نُشرت في الجزء التاسع من المجلد السابع لشهر تشرين الثاني ١٩٣٠.

٨- فورونوف والمجتمع البشري:

محاضرة ألقاها مرشد خاطر في ردهة المجمع العلمي العربي بدمشق، يوم الجمعة السابع من تشرين الثاني ١٩٣٠، ونشرتها مجلة المعهد في الجزء الثاني من المجلد الثامن لشهر شباط ١٩٣١.

وتناولت المحاضرة شرحاً لطريقة الطبيب فورونوف في إجراء العمليات الجراحية. وكان فورونوف قد زار دمشق سنة ١٩٢٨، وأجرى في المعهد الطبي عملية جراحية على الخراف أمام عدد من الأطباء.

٩- الضنك:

نص محاضرة كان من المقرر أن يلقيها مرشد خاطر في كلية القديس يوسف ببيروت، لكن طارئاً منعه من ذلك، فنشرها في الجزء الثالث من المجلد الثامن لشهر آذار ١٩٣١.

١٠ - طريقتنا في التخدير القطبي:

دراسة وضعها مرشد خاطر ليلقيها في المؤتمر الطبي المصري الذي انعقد في الكلية الأميركية ببيروت. لكن مانعاً حال دون سفره، فنشرها في الجزء الثامن من المجلد الثامن لشهر تشرين الثاني ١٩٣١.

١١ - انفتال السين الحرقفي — قطع — خياطة بدئية — شفاء:

دراسة نشرت في الجزء الأول من المجلد العاشر لشهر أيار ١٩٣٥.

١٢ - ولادة غريبة خلال الشفر الكبير الأيسر:

وضع مرشد خاطر هذه الدراسة بالمشاركة مع الدكتور شوكة القنواتي، ونشرت في الجزء الثالث من المجلد العاشر لشهر حزيران ١٩٣٥.

١٣ - الاستدماء الذاتي كناقل للأدوية:

دراسة نشرت في الجزء الخامس من المجلد العاشر لشهر تشرين الثاني ١٩٣٥.

١٤- باستور وكوخ:

دراسة مقارنة بين عالم الكيمياء الفرنسي لويس باستور، صاحب الطريقة المعروفة بتعقيم الحليب، التي يُطلق عليها (البسترة)، والعالم الطبيب الألماني روبرت كوخ مكتشف جرثومة مرض السل التي تسمى (عصيات كوخ)، نشرت في الجزء الخامس من المجلد العاشر لشهر تشرين الثاني ١٩٣٥.

١٥- التهاب المرارة الحصوي:

دراسة نُشرت في الجزء السابع من المجلد العاشر لشهر كانون الثاني ١٩٣٦.

١٦- معالجة الاشثان بالتجميد والبزغ معاً:

دراسة نُشرت في الجزء الثامن من المجلد العاشر لشهر شباط ١٩٣٦.

١٧- الفصادة في معالجة نزف الدماغ:

دراسة نُشرت في الجزء الثامن من المجلد العاشر لشهر شباط ١٩٣٦.

١٨- كلية كبيرة محصّاة:

دراسة نُشرت في الجزء العاشر من المجلد العاشر لشهر نيسان ١٩٣٦.

١٩- الحمية من الملح تسرع الولادة:

دراسة مهمة تبين أهمية قيام المرأة الحامل بتطبيق الحمية من الملح خلال فترة الحمل، لأن ذلك يُسرع عملية الولادة ويُسهلها في ثلاثة أمور، هي غيبة الحالات التشنجية ونقص الآلام وقصر زمن المخاض الذي يسبق الولادة، نُشرت في الجزء العاشر من المجلد العاشر لشهر نيسان ١٩٣٦.

٢٠- ثلاث حادثات انثقابات الأمعاء بمرامٍ نارية:

دراسة وضعها مرشد خاطر بالمشاركة مع الدكتور نظمي قباني، نُشرت في الجزء الثالث من المجلد الحادي عشر لشهر حزيران ١٩٣٦.

٢١- خرّاج وحيد في الرئة – خزع – شفاء:

وضع مرشد خاطر هذه الدراسة بالمشاركة مع الدكتور بشير العظمة، ونشرت في الجزء الرابع من المجلد الحادي عشر لشهر تشرين الأول ١٩٣٦.

٢٢- احتشاء معوي – انسداد العروق الماساريطية:

وضع الدكتور مرشد خاطر الدراسة بالمشاركة مع الطبيب الفرنسي سوليه، ونشرت في الجزء الرابع من المجلد الحادي عشر لشهر تشرين الأول ١٩٣٦.

٢٣- سموم الأفاعي في فن المداواة:

دراسة نُشرت في الجزء الخامس من المجلد الحادي عشر لشهر تشرين الثاني ١٩٣٦.

٢٤- معالجة جديدة للحمى التيفية:

دراسة نشرت في المجلد الخامس من المجلد الحادي عشر لشهر تشرين الثاني ١٩٣٦.

٢٥- كيس دموي في الطحال:

دراسة وضعها مرشد خاطر بالمشاركة مع الدكتور حسني سبح، ونشرت في الجزء الأول من المجلد الحادي عشر لشهر كانون الثاني ١٩٣٧.

٢٦- خمس مشاهدات انفتال السين الحرقفي:

دراسة نُشرت في الجزء الرابع من المجلد الثاني عشر لشهر تشرين الأول ١٩٣٧. وانفتال السين الحرقفي مرض يصيب الأمعاء الغليظة، ناجم عن التفاف عروة معوية حول نفسها، والسين الحرقفي جزء من الأمعاء الغليظة.

٢٧- العملية القيصرية واتقاء الأخطار العفنة فيها:

دراسة نشرت في الجزء التاسع من المجلد الحادي عشر لشهر أيار ١٩٣٧.

٢٨- بعض ملاحظات عن سرطان المري:

دراسة نُشرت في الجزء السابع من المجلد الثاني عشر لشهر كانون الثاني ١٩٣٨.

٢٩- تشنج نصفي وجبهي مزمن عولج بطريقة سيكار:

دراسة نُشرت في الجزء الثامن من المجلد الثاني عشر لشهر شباط ١٩٣٨.

٣٠- تقليد الجروح والأمراض في أثناء الحرب:

المقصود بتقليد الجروح قيام الجندي أثناء الحرب بإحداث جرح في مكان غير خطير في جسمه بطلق ناري، حتى يخرج من الحرب، أو إحداث ورم بحقن ما تحت الجلد بزيت البارفين، أو غير ذلك من الحيل. وكتب مرشد خاطر هذه البحث من خلال خبرته، فقد أمضى سنوات ضابطاً مجنداً في الجيش العثماني وشارك في حروب عديدة. ونشرت الدراسة في الجزء الرابع من المجلد الرابع عشر لشهر تشرين الأول ١٩٣٩.

٣١- الشعب والتلقيح:

دراسة تناولت أهمية التلقيح ضد الأمراض السارية، ولاسيما لقاح الحمى التيفية، نشرت في الجزء الرابع من المجلد الرابع عشر لشهر تشرين الأول ١٩٣٩.

٣٢- تقطير الدم:

دراسة نشرت في الجزء السادس من المجلد الرابع عشر لشهر كانون الأول ١٩٣٩.

٣٣- حول معالجة ذوات الجنب القيحية الحادة:

دراسة نشرت في الجزء السادس من المجلد السادس عشر لشهر كانون الأول ١٩٤٠.

٣٤- حادثة انفلات المعي الدقيق بالدقيق في الكهلة:

دراسة نشرت في العدد المزدوج (الجزءان ٣و٤) من المجلد ٢٠ لشهري تموز وآب ١٩٤٥.

وإلى ذلك في العدد الخاص من مجلة (لغة العرب) العراقية الذي أصدرته عام ١٩٢٩، بمناسبة الاحتفال باليوبيل الفضي للمسيرة الأدبية والفكرية للأب أنستاس ماري الكرملي، نُشرت رسالة تهنئة بعثها الدكتور مرشد خاطر للأب العلامة كرملي، يهنئه فيها بالعيد الذهبي، ويعدد مناقبه وجهوده لخدمة اللغة العربية.

وترجم الكثير من الدراسات والأبحاث الطبية للأطباء الفرنسيين كليرفيل وترابو ولوسركل الأساتذة في المعهد الطبي العربي بدمشق، إضافة إلى ترجمته للكثير من الأبحاث الطبية عن المجلات الطبية الفرنسية.

الفصل الخامس

مرشد خاطر وأشياء أخرى

استطاع مرشد خاطر أن يحتل مكانة رفيعة، سواء في كونه طبيباً جراحاً أو أستاذاً في المعهد الطبي أو عالماً باحثاً، من خلال تفانيه في كل هذه المجالات، وتولى العديد من المناصب والمهام على الصعيد المحلي والعالمي، فكان فيها على قدر المسؤولية والثقة التي حظي بها.

* وزيراً للصحة:

في عام ١٩٥٢ تولى منصب وزير الصحة والإسعاف العام في عهد الزعيم (رتبة عسكرية) فوزي سلو الذي تولى رئاسة الوزارة إضافة إلى رئاسة الدولة. وقد تشكلت الوزارة بموجب المرسوم رقم (١) تاريخ ٨ حزيران ١٩٥٢، واستمر في الوزارة سنة واحدة وشهراً ويوماً، أي حتى ١١ تموز عام ١٩٥٣، عندما استقال بسبب تدهور حالته الصحية. وخلال توليه الوزارة لم يتخل عن عمله في التدريس بكلية الطب. ومن إنجازاته الطبية في وزارة الصحة أنه قام بإنشاء مركز لمكافحة السل والملاريا في دمشق وآخر في حمص، كما أنشأ مركز رعاية الطفولة والأمومة في دمشق الذي مقره في شارع النصر، وأنشأ مدرسة التمريض في حلب. وكان أول وزير صحة يوفد الأطباء إلى البلاد الأجنبية للتخصص العالي.

* مرشد خاطر المجمعي:

في عام ١٩١٩ اختير مرشد خاطر عضواً في المجمع العلمي العربي (مجمع اللغة العربية حالياً)، وهو عضو مؤسس للمجمع بين أحد عشر من المؤسسين[١]، وحضر الجلسة الأولى للمجمع التي عقدت في مقر المجمع بالمكتبة العادلية بدمشق بتاريخ الثلاثين من تموز عام ١٩١٩. وشارك في أعمال لجان المجمع. وعمل إلى جانب مؤسسه ورئيسه الأول محمد كرد علي على تعريب جميع مؤسسات الدولة السورية.

* مؤتمر المجامع العلمية العربية[٢]:

شارك مرشد خاطر في مؤتمر المجامع اللغوية العربية الذي انعقد في دمشق خلال ما بين التاسع والعشرين من أيلول والرابع من تشرين الأول ١٩٥٦ ضمن وفد المجمع العلمي العربي بدمشق[٣]، وكان عضواً في لجنة

---

(١) الأعضاء المؤسسون الآخرون هم محمد كرد علي، أنيس سلوم، سليم عنحوري، متري قندلفت، سعيد الكرمي، أمين سويد، رشيد بقدونس، عبد القادر المبارك، عيسى إسكندر معلوف، فارس الخوري.

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي – الجزء الأول – المجلد الثاني والثلاثون – أول كانون الثاني ١٩٥٧.

(٣) ضم وفد المجمع بدمشق إضافة إلى مر شد خاطر كلاً من خليل مردم بك (رئيس المجمع)، ومصطفى الشهابي (نائب رئيس المجمع)، وجعفر الحسني (أمين سر المجمع)، وفارس الخوري، ومنير العجلاني، وشفيق جبري، وعارف النكدي، وأسعد الحكيم، ومحمد بهجت البيطار، ومحمد صلاح الدين الكواكبي، وحسني سبح، وجميل صليبا، وعز الدين التنوخي، وحكمة هاشم وسامي الدهان.

المصطلحات العلمية(١) التي كانت مهمتها البحث في طرائق وضع المصطلحات العلمية باللغة العربية وضبطها وكيفية توحيدها، ووسائل نشر ما يتقرر منها، ووضع معجم أعجمي – عربي للمصطلحات العلمية.

وشاركت في المؤتمر وفود ثلاثة مجامع علمية عربية، هي مجامع سورية ومصر والعراق، وهي الدول التي تأسست فيها مجامع، كما شارك وفد من الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، وشاركت بقية الدول العربية التي ليس فيها مجامع علمية بأعضاء مراقبين. وانتخب المؤتمر في جلسته الافتتاحية وزير المعارف السوري الدكتور عبد الوهاب حومد رئيساً له.

* مهام أخرى:

تولى د. مرشد خاطر العديد من المراكز العلمية، فعند تأسيس الجامعة السورية (جامعة دمشق حالياً) اختير عضواً في مجلس الجامعة الذي ترأسه رضا سعيد رئيس الجامعة، وضم في عضويته كلاً من عبد القادر العظم عميد معهد الحقوق والأطباء الأساتذة في المعهد الطبي العربي: منيف العائدي ومصطفى شوقي، والأساتذة في معهد الحقوق: شاكر الحنبلي وعثمان سلطان وسامي الميداني. وفي عام ١٩٥٣ انتخب رئيساً للدورة السادسة للجمعية العامة لمنظمة الصحة العالمية التي انعقدت في جنيف، وانتخبه رئيساً لها ثمانون دولة، وكان بذلك أول عربي يترأس الجمعية العامة

(١) ضمت اللجنة إضافة إلى مرشد خاطر كلاً من رئيف أبي اللمع (الجامعة العربية)، وجواد علي (العراق)، ومصطفى الشهابي (سورية)، وأسعد الحكيم (سورية)، وحسني سبح (سورية)، وجميل صليبا (سورية)، وقدري حافظ طوقان (الأردن)، وعبد الله العلايلي (لبنان)، وشفيق شماس (منظمة اليونسكو).

لمنظمة الصحة العالمية. وكما تم اختير عام ١٩١٩ عضواً في المجمع العلمي بدمشق (مجمع اللغة العربية الآن)، ونال عضوية المجمع العلمي الفرنسي بباريسن والجمعية الجراحية الفرنسية، والمجمع الطبي في البرازيل، واختير عضواً مراسلاً في مجمع اللغة العربية في مصر. وحظي مرشد خاطر باحترام وتقدير تلك الجمعيات والمجامع العلمية التي انتخبته لعضويتها.

وفي الجانب الطبي شارك مع بعض أساتذة المعهد بإجراء دراسة ميدانية عن (داء الجلبان) الذي تفشى بعد الحرب العالمية الأولى، ولم يكن يعرف شيء عن أسبابه ومعالجته قبل ذلك، وغدت هذه الدراسة مرجعاً للأطباء بعد ذلك.

* أوسمة وتكريم:

كان لمرشد خاطر إسهامات طبية كبيرة، على المستوى المحلي وعلى المستويين العربي والعالمي، نال عنها الكثير من أشكال التكريم، تمثلت في العديد من الأوسمة الرفيعة التي نالها من دول عربية وأجنبية، إضافة إلى بلده سورية. وهذه الأوسمة حسب تواريخ منحها:

- وسام الشرف الإيراني عام ١٩٢٢.
- وسام الاستحقاق اللبناني المذهب عام ١٩٣٨.
- ميدالية الصليب الأحمر الفرنسي عام ١٩٤٢.
- وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الأولى عام ١٩٤٨.
- وسام المجمع الطبي البرازيلي عام ١٩٥٢.
- وسام المجمع الدولي للطب الشرعي والاجتماعي عام ١٩٥٢.

- وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الممتازة عام ١٩٥٣.

- وسام القديس غريغوريوس الكبير من رتبة كومندور من قداسة البابا عام ١٩٥٣.

- وسام الصحة العامة من رتبة كومندور من فرنسا عام ١٩٥٣.

* شارع باسمه:

أطلق اسم مرشد خاطر على أحد شوارع دمشق، وهو الشارع الموازي لشارع بغداد والممتد من ساحة التحرير في حي القصاع إلى ساحة السبع بحرات. وفي الحقيقة فإن الفضل في تسمية هذا الشارع باسم مرشد خاطر للدكتور مروان المحاسني، ففي مطلع الستينيات من القرن العشرين كان إنشاء وافتتاح شارع جديد يوازي شارع بغداد بدمشق، وحول شارع بغداد إلى اتجاه واحد من السبع بحرات باتجاه حي القصاع، بعد أن كان باتجاهين، وكان المنفذ الوحيد لحي القصاع إلى مركز المدينة، وخصص الشارع الجديد باتجاه العودة، وكان اسمه (شارع بغداد الراجع)، وزار الدكتور مروان المحاسني وزير الشؤون البلدية والقروية آنذاك سهيل الخوري، واقترح عليه إطلاق اسم مرشد خاطر على الشارع الجديد، تكريماً له ولعطاءاته العلمية والطبية، وهكذا كان.

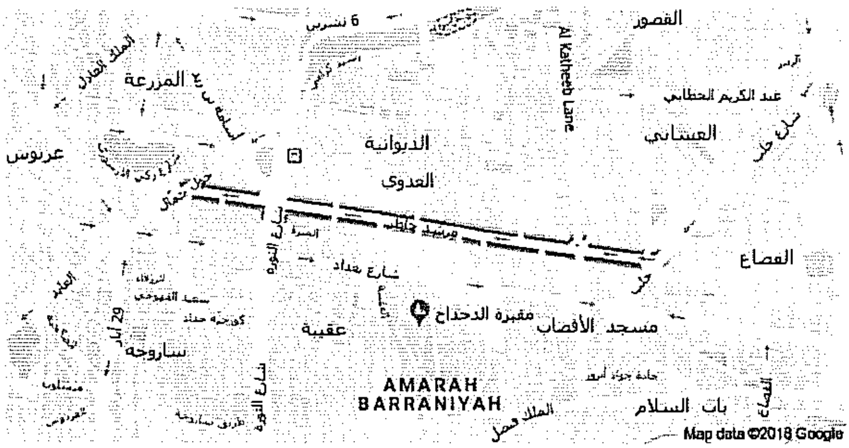
* التقاعد والرحيل:

أحيل مرشد خاطر إلى التقاعد عام ١٩٥٨، وهو في السبعين من عمره، بعد أن أدى رسالته العلمية الطبية كاملة. وإحالته إلى التقاعد كان من المفروض أن تكون عام ١٩٤٨ لبلوغه الستين، لكن الجامعة طلبت منه

الاستمرار في التدريس حتى عام ١٩٥٨، لعدم وجود من يحل محله، في التدريس في الكلية أو في الجانب البحثي العلمي.

توفي مرشد خاطر في دمشق بتاريخ الثاني عشر من كانون الثاني عام ١٩٦١ عن عمر ناهز الثالثة والسبعين عاماً، ونعته مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق في الجزء الثالث من المجلد السادس والثلاثين الصادر في غرة تموز ١٩٦١، ونشرت ترجمة مستفيضة عن حياته وعطاءاته العلمية. ومما جاء في نعي المجلة له:

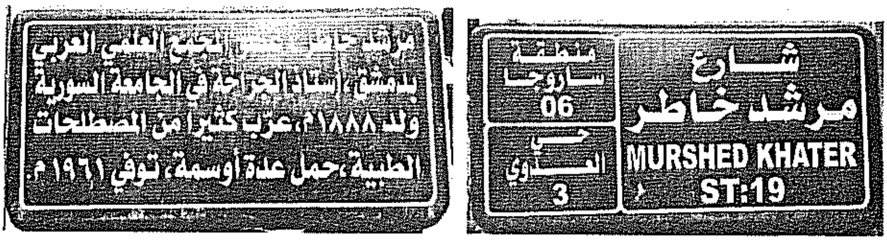
"فقد مجمع اللغة العربية بدمشق في الثاني عشر من كانون الثاني سنة ١٩٦١ عضواً كريماً من أقدم أعضائه العاملين، وعالماً من أكبر العلماء الباحثين والمحققين، وهو المرحوم الدكتور مرشد خاطر، فشق نعيه على عارفي فضله في العالم العربي، وعظمت فاجعة العلم بفقده".



شارع مرشد خاطر على المخطط



شارع مرشد خاطر



اللوحتان اللتان تعرفان بمرشد خاطر

في الشارع الذي يحمل اسمه

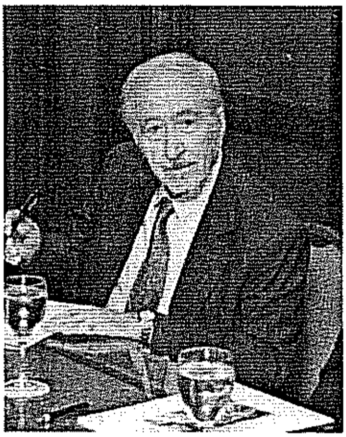
الفصل السادس

شهادتان

كان من حسن حظي وحسن حظ الكتاب أن التقيت طالبين من طلاب الدكتور مرشد خاطر في المعهد الطبي العربي ثم كلية الطب. وهما الآن إضافة إلى كون كل منهما طبيباً نطاسياً، رجلا علم وأدب متبحران. وحصلت على شهادة قيّمة من كل منهما في أستاذهما الدكتور مرشد خاطر، الأول الدكتور مروان المحاسني رئيس مجمع اللغة العربية والثاني الدكتور ابراهيم حقي. وهاتان شهادتاهما على التوالي.

الدكتور مروان المحاسني

الدكتور مرشد خاطر نقل ما يعرفه باللغة الفرنسية إلى اللغة العربية وألف الكتب الممتازة في شرح الأمور الجراحية. وكان من شغفه باللغة العربية أن أسس مجلة اسمها (مجلة المعهد الطبي)، واستمر في تحريرها منفرداً لأكثر من عشرين سنة. وانتخب في هذه الأثناء عضواً مؤسساً في المجمع العلمي العربي (مجمع اللغة العربية) مع محمد كرد علي والمؤسسين الآخرين.



الدكتور مروان المحاسني

كان رجلاً مثالياً في تدريسه وتعامله مع الطلاب، لأنه كان يؤمن بأن تدريس الطب هو تدريس علم دقيق، وفيه الكثير من المسؤولية. وكان قد تقدم بالسن، كان يعطينا الدرس السريري وهو يجلس على كرسي إلى جانب سرير المريض، ويراقب طريقة الفحص، ويعود لتذكيرنا بالقواعد في الفحوص، وبالقواعد التي اشتق منها الاختصاص أي التشخيص: هل هذا يدخل في اختصاص كذا أو اختصاص كذا وما هو التشخيص؟ وما هو التشخيص التفريقي؟

لقد تميّز أستاذنا الكبير بما شعرنا به من إنسانيته الحقيقية خلال تدريسه السريري، حيث نقف مجموعة من الطلاب حول سرير أحد المرضى، ويجلس الأستاذ إلى جانب السرير ليراقب كيفية ممارسة الفحص الطبي من قبل الطالب، ويؤكد المنطلقات الإنسانية لمهنة الطب، بما يجب أن نُشعر به المريض من الاطمئنان، على الرغم من وجود عدد من الطلاب يتناوبون في جلاء العلامات المرضية الموجودة عنده

فقد كان أستاذنا يبدو لنا كحامل لرسالة العلم، ليبلغنا ما هو مطلوب من الطبيب حين يفحص المريض وبخاصة في الأمراض الجراحية: لغة جميلة هادئة، ودقة في التعبير، وطرافة في طرح الأسئلة على الطلاب.

إن تدريسه السريري كان يتركز على ضرورة جمع ما وجد من علامات في صيغة قد تؤدي إلى استقراء التشخيص الأولي من الاستجواب، ليمكن التدقيق في الفحص السريري، لتوضيح ارتباط هذه العلامات بالتشخيص المطروح.

وقد عرفنا عدداً من الجراحين يعتقدون أن براعتهم تظهر بالنظر إلى سرعة انجازهم للعمل الجراحي، وكان أستاذنا يحاسب من كان يساعده من

المعيدين على طريقة استعماله للأدوات الجراحية، مؤكداً ضرورة الدقة في التعامل مع جسم المريض واحترام نسجه، بما يمكن من الدقة دون التأكيد على سرعة العمل.

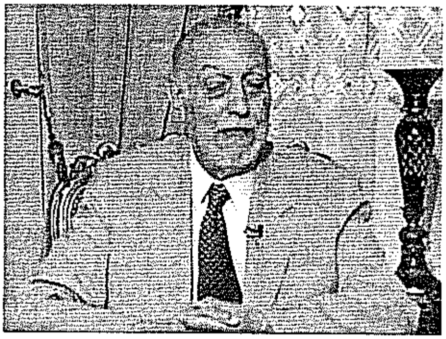
وقد استفدنا الشيء الكثير من دراسة كتب الأستاذ في الجراحة، لما فيها من دقة، واعتمادها على مشروع تعليمي لا غموض فيه. وهي صفة كانت واضحة في محاضراته الأسبوعية التي كانت تُدخلنا إلى لب الموضوع، ويُبرز فيها بصوته الهادئ وفصاحته الأصيلة ما يبقى في ذاكرتنا.

كان رائق المزاج، دقيق الكلام، يخاطب الأفراد بشكل شخصي، لا يعمل كأستاذ أمام تلميذ، بل يعمل كشارح أمام من يريد أن يفهم، وكان فحصه للمريض دقيقاً جداً، وفيه الكثير من الإصرار على إنسانية التعامل مع المريض. وأما كتبه فهي كتب نفيسة جداً ومعتبرة، لأنه أخذ من المصادر الأجنبية، وأضاف إليها خبرته الشخصية، وكانت له خبرة كبيرة في الجراحة. وأنا بالنسبة لي فقد دربني على الجراحة. أنا كنت معاوناً له في المستشفى وعملت معه لمدة سنتين. وكان دقيقاً في الجراحة، ومتساهلاً مع من يريد أن يتعلم.

وحين كان وزيراً للصحة عام ١٩٥٢ انعقد المجلس الدولي في جنيف، ودُعي للمشاركة فيه، وانتخب رئيساً للجمعية. وأصيب بمرض في الطرق البولية، فاضطر إلى ترك الرئاسة وحضر إلى باريس، وقد لازمْتُهُ في مرضه طيلة معالجته التي استمرت أياماً طويلة، وكنت أزوره باستمرار، ثم عاد إلى دمشق.

يبقى أستاذنا الكبير حياً في أنفس طلابه، بما تميز به من عطف حقيقي على طالبي العلم، وبما أعطاهم بشخصه مثالاً للإخلاص في مهنة صعبة، تترتب عليها مسؤوليات إنسانية كبيرة.

الدكتور إبراهيم حقي


الدكتور إبراهيم حقي

حين يُراد الكلام عن الأستاذ مرشد خاطر، أعتقد أنه يجب أن يُبدأ بتعريف شخصيته أستاذاً، ثم بفضله على تثبيت تدريس اللغة العربية بالجامعة السورية. فمن المعروف أن الجامعة حينما تأسست كان التفكير بأن يكون التدريس باللغة الأجنبية، وكنا بزمن الانتداب الفرنسي، وكان الفرنسيون هم المسيطرون، وعملوا كل ما في وسعهم لجعل التدريس باللغة الفرنسية.

ولكن بعض الشخصيات السورية، وعلى رأسهم المرحوم رضا سعيد ومرشد خاطر وحمدي الخياط وصلاح الدين الكوكبي وغيرهم من المهتمين باللغة العربية، كان إصرارهم وعملهم الدؤوب وكفاحهم بالأحرى لتثبيت التدريس باللغة العربية، كان له الأثر في أن اقتنع الفرنسيون أخيراً وأجبروا أو خضعوا للأمر الواقع لجعل التدريس باللغة العربية.

أول ما يُفرض على من يرى مرشد خاطر أو يسمع كلامه هو الاحترام والمهابة التي تقع في نفسه، فمظهره الهادئ وكلامه الرصين، ونظراته المعبرة

عن الفكر العميق، كانت توحي كلها بأن هذا الشخص شخص مهيب ومحترم. كان رحمه الله أستاذي وأستاذ الأجيال التي سبقتني. له الفضل في تدريسي مادة الجراحة في السنتين الثالثة والرابعة نظرياً، وعملياً الدروس السريرية في الصفوف الثالث والرابع والخامس. وكان في كل هذه المواقع سواء النظرية أو العملية مثالاً للأستاذ القدير العالم الذي يعطي من المعلومات ما يكفي الطالب دون زيادة لا معنى لها ودون نقص مخل. ولذلك كان الطالب الذي يستمع إلى محاضرات الأستاذ خاطر يخرج بحصيلة جيدة جداً في مادة الجراحة.

هذا من حيث كان أستاذاً. وأما الناحية الأخرى، وهي الناحية التي تطغى على حياة الأستاذ خاطر، وهي علاقته باللغة العربية كما ذكرت في البدء. وله في ذلك عملان كبيران بل ثلاثة أعمال بالأحرى، العمل الأول هو ترجمة المعجم الطبي متعدد اللغات للبروفسور كليرفل بالاشترك مع الأستاذين حمدي الخياط وصلاح الدين الكواكبي، وطبع عدة مرات. وما يزال حتى الآن المعجم الوحيد المعتمد، لم يخرج بعده أي معجم آخر لا زيادة لا إضافات. هذا العمل الأول ترجمة كليرفل إلى العربية. العمل الثاني كتابه القيم جداً في الجراحة، وهو مؤلف من خمسة أجزاء، ويشمل كل فروع الجراحة، كل جزء بنحو ألف صفحة تقريباً. وهو في وقته - وأعتقد أنه حتى الآن - يعد مرجعاً مهماً في الجراحة. الطب تقدم جداً، وهناك كثير من النظريات التي اختلفت، والعمليات التي لم تكن معروفة وعرفت بعد ذلك. ولكن مع ذلك المبادئ الأساسية في الجراحة في كل فروعها كانت موجودة في هذا الكتاب، وبلغة عربية فصيحة، وبأسلوب سهل ممتنع، يستطيع أي طالب قراءته بسهولة وبدون أي عناء.

العمل الثالث هو (مجلة المعهد الطبي العربي). كان رحمه الله هو الذي يُشرف على هذه المجلة. والإشراف معناه تلقي المقالات ومراقبتها وإصلاحها لغوياً بحيث تكون خالية من الأخطاء. في أول عهد الاستقلال وحتى قبل الاستقلال في عهد الانتداب، كان الأساتذة في المعهد الطبي معظمهم لا يجيدون اللغة العربية، لأنهم درسوا في تركيا أو ألمانيا ولغتهم العربية ضعيفة، حتى إن بعضهم كان يجهل التدريس باللغة العربية، ويطلب إلى بعضهم أن يهيئ له محاضرته باللغة العربية، فيقرؤها ويحفظها ثم يأتي في اليوم الثاني لإلقائها. في هذا الأمر كان الأستاذ مرشد خاطر متميزاً، لأنه كان يتقن اللغة العربية، ولذلك كان حريصاً على أن تكون المجلة التي يُشرف على إخراجها مجلة متكاملة من حيث المعلومات أو من حيث اللغة.

هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية كان يفسح المجال للطلاب للاشتراك في الكتابة في المجلة. أنا مثلاً في السنة الأخيرة من دراستي الطب، كان من الأبحاث المعروفة بحث عن جراحة العصب الودّي، وكان هناك أستاذ فرنسي مهتم بهذا الموضوع، وله أبحاث كبيرة فيه، وألف كتاباً في هذا الموضوع. أعجبني الكتاب فترجمته إلى اللغة العربية، وعرضت على الأستاذ مرشد خاطر أن ينشر هذا الكتاب في المجلة فوافق فوراً، وأخذ المسودة التي ترجمتها أنا وصححها بخطه، وما أزال محتفظاً بها حتى الآن، وأخذ ينشر في كل عدد من المجلة عدداً من صفحات الكتاب، تجمع بعدئذ وتصبح كتاباً مترجماً. وهذا نوع من تشجيع الطلاب الشباب على الإنتاج العلمي. لا يزال الكتاب عندي هو ومسودته التي كتبتها. وللأسف الشديد إن المجلة توقفت عن الصدور، ولم يُنشر من هذا الكتاب سوى ثلاث ملازم، أي نحو أربعين أو خمسين صفحة فقط، ولم يكتمل نشره.

هذا من الناحية العلمية، ومن الناحية الطبية كان إنساناً مخلصاً لفنه وعلمه. ورغم كبر سنه كان يشترك في الإسعافات، والإسعافات في المستشفى الوطني حيث كنا ندرس نحن طلاب الطب كثيرة، لا سيما أنه كان المستشفى الوحيد في البلد، وكل إسعافات البلد تأتي إليه، وكان الشباب هم الذين يقومون بالإسعافات، ولكنه كان في أثناء الحوادث وكانت كثيرة، كانت دائماً تحدث حوادث بين الشعب والفرنسيين، مصادمات ومظاهرات، هذا عدا أيام الثورة وأيام عام ١٩٤٥، عندما اعتدى الفرنسيون على المجلس النيابي وعلى دمشق، في كل مناسبة كانت الإسعافات كثيرة، كان لا يُحجم رغم كبر سنه عن المجيء من داره إلى المستشفى كلما اقتضى الأمر ذلك. وكان يُطلب منه ذلك في العمليات الكبيرة، العمليات التي لا يستطيع غيره القيام بها، فيأتي في كل وقت ليلاً أو نهاراً، ويقوم بها بكل رحابة صدر ووجه بشوش.

كان محبوباً من قبل طلابه محترماً جداً، لم نسمعه يوماً ينبس بكلمة نابية، لأنه لا يُحوج الطلاب إلى أن يتخذ معهم أسلوباً شديداً. كان الطلاب يحترمونه ودروسه كانت مثالية. هذا ما أستطيع باختصار شديد جداً من الكلام عن الأستاذ مرشد خاطر رحمه الله.

الفصل السابع

مقتطفات من أبحاثه

نشر الدكتور مرشد خاطر في مجلة (المعهد الطبي العربي) الكثير من الدراسات والأبحاث، بعضها متخصص في أمور طبية تهم الدارس والطبيب الممارس، وبعضها يندرج ضمن منحى الثقافة الطبية التي تفيد المتخصص في الطب والإنسان العادي. واخترنا في هذا الفصل ثلاثة من دراساته وأبحاثه من النوع الثاني، أي الثقافة الطبية التي تقدم للإنسان العادي التوجيهات والنصائح التي تحافظ على صحته وتفادي الإصابة بالأمراض التي تنجم عن سلوكيات صحية خاطئة.

*** نشأة معهدنا ولمحة عن معاهد الطب في دمشق**

إن معهدنا الطبي ليس بالطفل الرضيع الذي لم تمر على ولادته إلا سنوات أربع، ولكنه معهد قديم، قد مرت على نشأته سنون طوال، فقد ولد تركياً وترعرع عربياً.

ودمشق الحديثة مدينتنا الزاهرة التي أنبتت هذه الزهرة الفائحة الأريج، لم تنسج على منوال دمشق القديمة التي كانت نجمة لرائدي العلم

في العصور العربية السالفة، ونجماً متألقاً في سماء الحضارة، تستضيء به الشعوب قاصيها ودانيها. فقد ضمت – والتاريخ شاهد عدل على ما أقول – بين أسوارها الفخمة في عصور الحضارة الإسلامية خمسة معاهد للطب في آن واحد. وإذا أرسلت أنظاري إلى الماضي، وقلبت تلك الصفحات الممتلئة بالأعمال الجليلة الخالدة، وقرأت فيها ما كان للمعلم من المكانة العليا، وما كان لهذه البلاد من الرفعة في إدارة دفة المعارف ونشرها في الأقطار، فلكي أجعل القارئ الكريم يتبع السلسلة الطبية منذ حلقتها الأولى حتى حلقتها الأخيرة التي انقطعت، ومرت على انقطاعها القرون الطوال قبل أن عادت ثانية إلى الاتصال برفيقتها القديمة.

يعود تاريخ المعهد الطبي الأول في دمشق إلى نور الدين الشهيد. فإنه بعد أن استولى على دمشق، فتح فيها بيمارستاناً لتدريس الطب وكثيراً من المدارس الأخرى عام ٥٥٠ للهجرة. وهذا المعهد هو أول ما أسس وآخر ما درس، فقد بقي حتى سنة ١٣٠١ هجرية.

ثم أقيم معهد ثان عام ٦٢١ هـ، دعي المدرسة الدخوارية نسبة إلى منشئها مهاب الدين بن عبد المنعم بن علي بن حامد الدخواري، وهي قرب دار الصاغة القديمة، وقد درّس فيها منشئها، واشتهر بعده كثيرون من الذين خلفوه في التدريس، كبدر الدين محسن وعماد الدين الدنيسري، وكان للمؤسس مؤلفات جمة في الطب.

ثم أنشئت عام ٦٦٤هـ المدرسة اللبودية النجمية خارج البلد بجهة المزة، أنشأها نجم الدين يحيى اللبودي الذي كان حكيماً أيضاً.

وفي عام ٦٨٦هـ تأسست المدرسة الدنيسرية غربي باب البيمارستان النوري، والصلاحية بآخر الطريق أنشأها عماد الدين أبو عبد الله الربعي، وكان طبيباً وأديباً، وضع مؤلفات جمة في الطب والأدب.

وأنشئت أخيراً مدرسة الخانقاه الأسدية عام ٧٤٠هـ داخل باب الجابية بدرب الهاشميين، بالشرف القبلي ظاهر دمشق على الميدان الأخضر، وكانت تدرس فيها علوم الدين والطب.

وظلت هذه المدارس الخمس نجمة لطالبي الطب في أقطار العلم جميعه، يؤمها من أطراف البلاد الشاسعة رواد العلم للانتجاع منها، فأخرجت للعالم أطباء عديدين، لا يزال التاريخ يدون أسماءهم بافتخار. كانوا حجة الطب في أيامهم، لا تقل مكانتهم العلمية عن مكانة الدهاقنة في أيامنا الحاضرة، ولو اقتصرت على ذكر الأطباء الذين نشؤوا بدمشق وحدها قبل تأسيس هذه المعاهد وبعدهاـ لعددت ما يربو على ثمانين طبيباً، منهم أبو النصر الفارابي وعيسى الرقي الطبيب والصيدلي وأبو المجد بن أبي الحكم الذي وضع الأرغن وأجاد صنعه، واشتهر في الموسيقا اشتهاراً غريباً، وكان طبيباً للبيمارستان الكبير، حيث كان يعلم الطب والصيدلة، وابن البذوخ الذي اشتهر بالمفردات الطبية، وعبد المنعم الجلياني الذي جمع بين الطب والصيدلة، وامتاز في اختصاصه في أمراض العيون، وأبو الفضل بن أبي الوقار طبيب نور الدين، وغيرهم كثيرون تفردوا بعلم الكيمياء والنبات، يضيق صدر هذه المجلة عن تعداد أسمائهم، لأنه ما من منكر أن علم النبات يحوي في أيامنا الحاضرة ما لا يقل عن مئتي اسم أصلها عربي أوجدها علماء العرب، ثم مرت إلى اللغات الأجنبية، فارتدت رداء آخر لم تزل عليه

الصبغة العربية، منها الكحول والجلبا والكافور والنفط واليانسون والزرنيخ وكثير غيرها.

وهكذا سارت هذه المعاهد سيراً حثيثاً إلى الرقي، واكتسبت شهرة بعيدة، لم تكتسبها المعاهد الحالية في أيامنا الحاضرة، إلا أنها لم تلبث أن شاخت بعد مرور الزمان عليها، فبدأت المعاهد الطبية التي أنشئت في البلاد الأوربية تنازعها الشهرة والسيطرة، وتجذب إليها الأطباء. وأول معهد أنشئ في أوربا يعود الفضل في إنشائه إلى الخليفة عبد الرحمن الثالث، الذي أنشأه في القرن التاسع في مدينة قرطبة من أعمال إسبانيا، بعد تولي الإسلام على تلك البلاد. وقد ذاعت أعمال ذلك المعهد في أقطار أوربا، فكان يؤمه المستطبون من أطرافها طلباً للمداواة، حتى إن الملك (ليون سانش لاغرو) قد أتى قرطبة مستشفياً عند معلمي جامعتها العرب.

ومرت هذه المعاهد تباعاً في دور التأخر ثم الاضمحلال، إلى أن بقي منها معهد واحد لاغير حتى سنة ١٣٠١ هـ، وهو معهد البيمارستان. ولم يقم منذ ذلك التاريخ في دمشق معهد طبي سوى معهدنا الحالي الذي شيد على أطلال خمسة معاهد عريقة في القدم، وأسس على أسس تاريخية ثابتة لن يزعزعها كرور الأجيال.

أسس هذا المعهد سنة ١٩٠١ مسيحية، بفرمان خاص من سلطان تركيا. وقد بذلت الحكومة العثمانية في إنشائه جهدها وعظيم قواها، لتجعله مماثلاً للمعاهد التي تقدمته في هذه الحاضرة، فأعدت له العدد والأدوات واللوازم. وألحقت به المستشفى العام الفخم ليكون مسرحاً للسريريات، تطبق فيه طلبة الطب على الأحياء ما قرأته في المجلدات وما سمعته من أفواه

المعلمين، وتحققت وجوده على الجثث، وأتت بأساتذة مدربين شهد لهم جميع من عرفهم بالاقتدار العلمي والكفاءة الاختبارية. فنها المعهد تسقيه معارفهم الغزيرة، وأنبت للوطن ما ينيف عن ١٦ طبيباً وخمسين صيدلياً، تفرقوا في البلاد السورية والفلسطينية والعراقية والحجاز وكيليكا وغيرها من البلاد التركية القديمة، ونالوا مقامات رفيعة في هذه البلدان علماً وطباً وأدباً. ثم إنه بعد الانقلاب التركي أبدلت اللغة التركية التي كانت اللغة التدريسية الرسمية فيه باللغة العربية، وعين له عوضاً عن الأساتذة الأتراك أساتذة وطنيون، يلقنون الدروس بلغة عربية فصيحة لا تشوبها شائبة، وهكذا قام معهدنا هذا العربي على أنقاض المعهد التركي، وهو المعهد الوحيد الذي تلقن فيه الدروس باللغة العربية.

وقد نقلت الحكومة التركية معهدها الدمشقي إبان الحرب العامة إلى بيروت حيث المعهد الطبي الفرنسي الآن، لتستفيد من بنائه الفخم، لأن المعهد المذكور أغلق إذ ذاك وعاد أساتذته إلى فرنسا، وبقي فيه حتى احتلال الحلفاء لسورية، وقد ضربت الفوضى أطنابها في الأيام التي سبقت الاحتلال وأعقبته. وامتدت الأيدي إلى سائر مؤسسات الحكومة، وكان حظ المعهد الطبي كحظ المؤسسات الأخرى، فانتشلت الأيدي من أدواته القسم الكبير، وخربت القسم الآخر. وهذا ما دعا إلى فقدان كل ما كان جهز به الترك هذا المعهد من الأدوات والمعدات الكثيرة.

وبعد أن عاد المعهد إلى فتح أبوابه، كانت تنقصه أشياء كثيرة، فأغدقت عليه الحكومة العربية عندئذ مالاً وافراً، فجهزت بعض مخابره. ثم جاءت الحكومة الفرنسية فشملته بأنظارها، وسهلت له طريق الحياة

والرقي، فاستجمع قواه وعاد إلى سابق نشاطه، وأصبحت مخابره جميعها مجهزة بأحسن تجهيز. وإن العقبة الكؤود التي قامت في وجه المعهد الطبي إنما هي فقدان المؤلفات الطبية العربية التي تناسب الطب الحديث، لأن البون الشاسع الذي وجد بين الطب القديم الذي وضعه العرب والطب الحديث وما وصل إليه من الرقي والكمال، يجعل الكتب الموضوعة باللغة العربية عديمة الفائدة من الوجهة الفنية، ويقضي بإيجاد غيرها من الكتب المطابقة للفن الحديث، وإن اللغة العربية على سعتها وكثرة اشتقاقاتها ليس فيها تلك الأوضاع الجديدة التي ولدت بعد موت الطب عند العرب. ولهذا كان العناء شديداً لسلف ذلك الخلف في نحت كلمات سهلة المأخذ قريبة الفهم جامعة بين السلاسة والمعنى المراد. ورب كلمة واحدة شغلت واضعها ساعات وأياماً، غير أن هذه العقبة قد اجتازها المعهد الطبي بفضل ثباته وحزمه. لأن المؤلفات الطبية في جميع الفروع قد أعدت وطبع بعضها والبعض الآخر معد للطبع.

وإننا نؤمل ألّا تمر سنوات قليلة على معهدنا الطبي ولغتنا العربية، حتى يصبح غنياً بالمؤلفات، وتغدو لغة طبية تسهل الكتابة بها، لا ينفر منها أطباؤنا وعلماؤنا، ناظرين إليها نظرة التقصير عن إيفاء المراد. فما اللغات إلا مقياس درجة الرقي في الشعوب. فمتى كانت اللغة حية علمية راقية، كان الشعب الذي ينطق بها راقياً والعكس بالعكس. بلغنا الله الأمنية التي نتوق إليها، ولاحرمنا مساعدة الزملاء الكرام المنتشرين في أقطار البلاد العربية وسواها، لنستنير بعلمهم ونسترشد بإرشاداتهم، والله يهدي من يشاء.(*)

(*) مجلة المعهد الطبي – المجلد الأول – العدد الأول – كانون الثاني ١٩٢٤

* هواء المدن

لا يغرب عن معارفكم سادتي أن علم الصحة أس من الأسس الراسخة المتينة التي يشيد عليها هذا البناء البشري. وأنه إذا انحصر في فرد أو أفراد، لا يكون مفيداً نافعاً. فلو رعى أحد أفراد أسرة مؤلفة من أربعة أشخاص مثلاً علم الصحة رعاية دقيقة، وحفظ دقائقه حفظاً لا تشوبه شائبة، ولم يحفظ الثلاثة الباقون منه إلا اسمه، لما حصلت الغاية المرادة من هذا الفن، ولما كسب ذلك المحافظ من حفاظه ما كان يؤمل الحصول عليه، لأن ما يصلحه في نفسه ومحيطه بسيره في سبيل هذا الفن الأساسي، يفسده الثلاثة الآخرون بإهمالهم. كيف لا، وهم يسكنون معه مسكناً واحداً، ويغتذون بطعام واحد، ويشربون ماء واحداً. ولا تختلف حال الأسرة هذه عن حالة كل مجتمع إنساني، ولا سيما عن المدن حيث الازدحام كبير. فإن علم الصحة لا يكون مفيداً إذا رعاه بعض السكان وأهمله بعضهم، أو إذا سار بموجبه الشعب جميعه ولم تسر الحكومة، فإن من القواعد الصحية ما هو عام، يترتب على الحكومة وضع قوانينه ومراعاتها. فكيف يؤمل لمدينة من المدن هواء جيد، إذا لم تكن طرقها العامة مخططة كما تقتضيه قواعد علم الصحة، ولم تكن عريضة متسعة يتجدد الهواء فيها، وترسل إليها الشمس أشعتها الذهبية، متلفة ما يعلق بها من الجراثيم العديدة، أو لم تكن منازلها مبنية على الطراز الحديث، مرعية فيها شروط مهب الأرياح وشروق الشمس وغروبها، وسعة النوافذ ووجهتها؟ بل كيف نرجو لمدينة هواءً جيداً إذا لم تكن مياهها شروبة خالية من المواد المضرة بالصحة وعارية من الجراثيم المرضية، أو إذا لم تكن غزيرة كافية للحاجات العامة؟ بل كيف

نرجو لمدينة حظاً من سلامة الصحة العامة، إذا لم تكن المفرزات التي تفرزها أجساد سكان تلك المدينة من بشر وحيوان مسوقة في قنوات محكمة، لا تنبعث منها الروائح النتنة، ولا تتدفق منها على سطح الأرض الأقذار الكريهة الرائحة، ولا تتسرب من جدرانها في مجاري الماء الشروب السائرة معها جنباً إلى جنب أو في الآبار الواقعة في نقطة منخفضة من الأرض اختمارات قتالة تلوث المياه وتميت الألوف. بل إذا لم تنقل بقايا المواد الغذائية التي تملأ الطرق العامة نقلاً سريعاً وحسنا دون أن يتلوث بها المارون؟ ولهذا نشطت اليوم المدن وهبت للسير في مضمار علم الصحة، ففاخرت كل عاصمة ومدينة سواها بجمالها وجمعها لشتات القواعد الصحية الحديثة. فلم تعد تتوق النفس إلى المدن القديمة الضيقة الطرق التي تطوقها الأسوار والخنادق من كل جهاتها، إلى تلك المدن التي كانت تظلم شوارعها بعد غروب الشمس، فلا نور يضيئها ليلاً، إلى تلك المدن التي لم تكن ترصف أسواقها وجاداتها رصفاً يمنع ذرات الغبار عن الاختلاط بالهواء المستنشق، بل كانت حفراً ومجاري تسيل فيها مياه الشتاء والمياه القذرة ممتزجة. بل تتوق النفس في أيامنا الحاضرة إلى المدن الحديثة البناء، الرائعة الهندسة المتسعة الشوارع المرصوفة الجوادّ. ولم يكن ذلك الانقلاب الغريب في الأفكار، والتطور السريع في الهندسة، إلا نتيجة اكتشاف صغير قام به أحد العلماء الفرنسيين، الذي مرَّ على ولادته قرن كامل، أريد بذلك الاكتشاف الجرثوم الذي لا يُرى، وبذلك العلامة باستور. قلت إن الاكتشاف صغير، وهو صغير كبير، صغير لأن العين المجردة لا تراه، ولأنه لا يُدرك إلا بعد تكبيره لبضع مئات من المرات. وكبير لأنه نفخ في العالم روحاً جديدة،

فسارت تلك الروح من تحت مجهر ذلك العلامة، تدبُّ في جميع أطراف البسيطة، ملقية في النفوس المضطربة سلاماً، وفي القلوب الهالعة من الأمراض اطمئناناً وسكوناً. كبير لأنه دكَّ على الرغم من صغره كل ما قامت به العقول المفكرة والأيدي العاملة، ومدَّ سيطرته إلى الأرض جميعها. فإلى ذلك العلامة الكبير نوجه من هذا المنبر كلمة الإجلال والتكريم.

إن علم الصحة في المدن لغز من الألغاز المغلقة التي لا يحلها إلا من كان عالماً بها متضلعاً منها. ولهذا وجب ألّا يتولى الشؤون الصحية في المدن إلا من كان اختصاصياً بها. فلا البلديات والمهندسون ولا الحكومة تحسن عملاً، إن لم تسترشد بإرشاد رئيس صحي اختصاصي، يدير دفة العمل، ويسير بالإصلاحات طبقاً للقواعد الصحية الحديثة.

يُفهم مما تقدم أن علم الصحة إن لم تشترك به الجماعة قبل الأفراد، والحكومة قبل الجماعة لا يأتي بثمار لذيذة وفوائد تُذكر. ولهذا أردت أن أبيّن لكم في هذه المحاضرة شرطاً واحداً من الشروط الأربعة التي تحسن بها الصحة العامة في المدن، وهو وجود الهواء وما يؤثر فيه من المؤثرات فيفسده أو يصلحه، تاركاً الشروط الثلاثة، وهي الطرق العامة والقنوات والماء الشروب إلى محاضرات أخرى فأقول: سبعة مؤثرات تؤثر في هواء المدن فتصلحه إذا صلحت، وتفسده إذا فسدت، وهي:

١- الموقع الجغرافي: وينطوي تحته أربعة أمور: الارتفاع عن سطح البحر، وتركيب الأرض الجيولوجي، ومسيل المياه ومهب الرياح.

٢- غرس الأشجار ووجود الساحات الفسيحة.

٣- تلوث الهواء بغبار الطرق العامة الناقل للجراثيم المرضية.

٤- تلوثه بالروائح الكريهة والدخان وما ينبعث من المصانع من غبار المعادن وسواها.

٥- ضرر المدافن فيه.

٦- فساد بنقل المواد الغائطة.

٧- تأثير حالة الطرق العامة فيه، وينطوي تحته ميل الطرق وهيئتها وأرصفتها ومجاريها ووجهتها، وتعرضها للشمس وهندسة بيوتها.

وسأقتصر في هذه المحاضرة على درس المؤثرات الثلاثة الأولى، تاركاً المؤثرات الأربعة الباقية، لأن كلاً منها يستغرق محاضرة خاصة.

(١) الموقع الجغرافي: لا أجد بداً قبل البدء بالكلام عن الموقع الجغرافي وتأثيره في جودة الهواء وفساده، من أن أنفي اعتقاداً، تقلص ظله من البلاد الأوربية، بعد أن ارتقت مدنها رقياً صحيحاً كبيراً، ولا يزال شائعاً عندنا، لأننا لم نسع حتى الآن إلى تحسين الحالة الصحية في مدننا، تحسيناً يحملنا على دحض ذلك الاعتقاد. شاع منذ زمن طويل أيها السادة، ولعله شائعاً حتى الآن بين السواد الأعظم منا. هذا الاعتقاد الذي مؤداه أن هواء المدن أقل ملائمة للصحة من هواء القرى. لست أنكر ذلك. والإحصاءات القديمة كانت تثبته في القرون الماضية، إلا أنني اليوم بعد بلوغ علم الصحة إلى درجة عالية من الرقي وتوفر الشروط الصحية في المدن، وفقدان هذه الشروط في القرى، أتمكن من إثبات العكس. أقول هذا عن المدن الأوربية والأميركانية لا عن مدننا السورية. وأقر وأعترف أن الهواء في مدننا لم يبلغ حتى الآن درجة من الجودة تعادل جودة هواء القرى المشيدة في البر. أما في أوربا وأميركا فقد اختلفت الإحصاءات كثيراً، إذ

دلت إحصاءات (لانيو) عن البلاد الفرنسية سنة ١٨٨٠، أن الوفيات كانت معادلة في المدن لمئتين وأربع وأربعين وفاة في كل عشرة آلاف نسمة، وأنها في القرى لم تبلغ إلا مئتين وثماني وفيات لا غير. وهذا يثبت الاعتقاد القديم. إلا أنها في سنة ١٩١٢ قد اختلفت اختلافاً بيناً، فإن الوفيات في المدن هبطت إلى مئة وإحدى وتسعين وفاة وفي القرى إلى مئة وسبع وتسعين. وهذا ينفي الاعتقاد القديم ويثبت ما نحن بصدده. وقد وضعت الحكومات قانوناً تحدد به عدد الوفيات، حتى إذا اجتيز هذا الحد سعت الحكومة إلى تحسين الحالة الصحية وإنقاص ذلك العدد إلى حدّه المعين. وأما الحد الذي عينته فهو مئة وثلاث وتسعون وفاة في كل عشرة آلاف نسمة، فهل نسعى إلى مراعاة هذا القانون في بلادنا؟ سؤال أدع الجواب عنه لكم.

أما وقد نفيت ذلك الاعتقاد نفياً مبيناً على الإحصاءات، فإنني أعود إلى الكلام عن الموقع الجغرافي . تقسم المدن ستة أقسام، كما قسمها الدكتور فونساغريف (fonssagrifes)، المدن المشيدة في السهل، والمدن المبنية في الأودية، والمدن البحرية، والمدن النهرية، والمدن القائمة على البحيرات، والمدن المَرْزغيّة (أي التي تكثر في أرضها المستنقعات).

أما مدن السهل التي تقام في أرض مستوية قليلة الارتفاع عن سطح البحر، وكثيرة البعد عن مجاري المياه الغزيرة، فإن الشروط الصحية تتوفر فيها، إذا لم تركد المياه في أرضها، فتحولها إلى مستنقعات شديدة الضرر.

وأما مدن الأودية فلا ينالها من أشعة الشمس المنعشة إلا نذر قليل، لما يكتنفها من الجبل. فكلما كان الوادي ضيقاً وعميقاً نقصت الشروط الصحية في هذه المدن.

وأما المدن البحرية التي تقوم على شاطئ بحر، تختلف فيه حركتا المد والجزر اختلافاً بيناً كبيراً، فإن درجتها الصحية أحد من المدن التي تبنى على شاطئ بحر، حركتا مده وجزره خفيفتان، لا يكاد يُشعر بهما، وذلك لأن حركة الأمواج حين المد تقذف بعيداً إلى الشاطئ المواد العضوية الكثيرة، فتتفسخ وتختمر وتفسد الهواء، وعدا ذلك فإن ما تصبه المجاري والقنوات من المواد القذرة والمياه الملوثة في البحر، أي كل ما يطرحه الإنسان والحيوان يعود بتأثير المد إلى حيت أتى، فينتشر على الشاطئ بعد أن كان منحصراً في القنوات، ويفسد الهواء ويضره ضرراً جسيماً.

وأما المدن النهرية فإن مقامها الصحي بين المدن رفيع للغاية، لأن جريان النهر يحرك الهواء تحريكاً دائماً فيجدده، وينقل ما فسد منه مستعيضاً عنه بأصلح. فإن النهر بجريان مائه الدائم يشبه موقداً تضرم فيه النيران بانبوب عال، فكما أن الموقد يجدد الهواء في الغرفة آتياً بالجيد منه إلى الداخل، ودافعاً ما فسد وسخن منه إلى الخارج، فإن لجريان ماء النهر التأثير نفسه. وعدا هذا فإن المياه التي تحتاج المدن الكبرى إلى كميات وافرة منها لقضاء الحاجات العامة، لا يكاد يُتوصل إليها إذا لم تخترق أنهر طبيعية هذه المدن، ولهذا كانت الشروط الصحية متوفرة في المدن النهرية لغزارة المياه فيها، على أن لا تتلوث هذه المياه بما ينصب فيها من المجاري والمراحيض، فيتناول ضررها عدا المدينة نفسها جميع القرى الواقعة تحتها.

وأما مدن البحيرات فهي ذات هواء رطب للغاية، سواء قامت على شاطئ البحيرة أو شُيدت على أعمدة مرتكزة في قعرها، إلا أن هذه الرطوبة قد يخف ضررها بتأثير الأرياح التي تهب عاصفة في تلك المدن، فتخفف من رطابة هوائها أو بتأثير الحرارة العالية نفسها.

وأما المدن القائمة في أراض يكثر فيها السباخ، أي الواقعة على مصب الأنهر فهي أشد المدن إنحطاطاً من الوجهة الصحية، فإن البرداء (أي الملاريا) تفتك بالعدد الوافر من ساكنيها.

فيُستنتج مما تقدم أن دمشق، وهي مدينة تخترقها الأنهار الغزيرة، ذات موقع جغرافي حسن. فهي قائمة في سهل تكتنفه الجبال البعيدة، فإلى الشمال جبل قاسيون الممتد من الربوة حتى ثنية العقاب حيث بدء جبل القلمون. وفي صفحة حي الصالحية والمهاجرين وإلى الشمال الشرقي جبل القلمون (يوناني معناه القصب)، وهو يبعد عن المدينة خمسة كيلو مترات أو ستة، وإلى الغرب الجنوبي جبل الشيخ وهو يبعد ثلاثين كيلو متراً عن دمشق، وبه تمر الرياح الجنوبية الغربية الباردة في فصل الشتاء. وأمام جبل الشيخ تقوم جبال الربوة والمزة وتبعد عن دمشق زهاء ثلاثة كيلو مترات، وإلى الجنوب جبال حوران الممتدة حتى البادية، وتبعد عن دمشق ثلاثين كيلو متراً، وإلى الشرق البادية المطلقة، ومنها تهب الرياح الحارة في فصل الصيف، وإلى الشرق الجنوبي تمتد الغوطة حتى بحيرة الهيجانة التي يصب فيها نهر بردى[1]، تلك البقعة التي يكثر فيها السباخ والمستنقعات.

فموقع دمشق الجغرافي متوفرة فيه الشروط الصحية، لأن الجبال التي تكتنف المدينة بعيدة لا تمنع الشمس عن إرسال أشعتها القاتلة للجراثيم، ولا توقف الأرياح العاصفة عن الوصول إلى المدينة، فيتجدد حتى في أضيق

---

(١) هذا خطأ، فنهر بردى يصب في بحيرة العتيبة، أما النهر الذي يصب في بحيرة الهيجانة فهو الأعوج.

أزقتها الهواء تجديداً دائماً. وإنما وجود الغوطة في الجهة الشرقية من المدينة يجعل البعوض يتكاثر والبرداء وحمى الأيام الثلاثة تتفشيان تفشياً شديداً. وليس الذنب في ذلك على الطبيعة وحدها، ولكن معظم الذنب علينا. فلو اهتمت الحكومة لتجفيف تلك المستنقعات مهما كلفها الأمر من المال، لحسنت الحالة الصحية، وهو مشروع تفوق فائدته أكبر المشاريع وأعظمها.

(أ) الارتفاع عن سطح البحر: أمر الآن إلى الفرع الأول من الفروع الأربعة التي تنطوي تحت الموقع الجغرافي وهو الارتفاع عن سطح البحر. إن الارتفاع يؤثر شديداً في هواء المدن، فيصلحه أو يفسده. ولعله أقوى المؤثرات وأهمها، حتى أن بعض علماء الصحة يرى فرقاً بيناً بين حيّ وآخر من أحياء مدينة واحدة لا يتجاوز فرق ارتفاعهما عشرين متراً أو أربعين، والبرهان على ذلك جلي واضح في دمشق، فإن حي الصالحية والمهاجرين القائم في سفح جبل قاسيون أجود هواء من سائر أحياء دمشق لأنه أكثر ارتفاعاً منها.

ولا يظهر هذا الفرق واضحاً إلا في المدن التي لا يقل ارتفاعها عن أربعمائة متراً وفي المدن التي لا يزيد ارتفاعها عن الخمسين. وأما المدن التي يتراوح ارتفاعها بين الخمسين والأربعمائة فإن بضع عشرات من الأمتار لا تكفي لجعل فرق واضح بين حي وآخر من أحيائها، وإن دمشق التي يعادل ارتفاعها في أرجائها المتوسطة ستمائة وخمسين متراً يظهر هذا الفرق فيها بين حي الصالحية والأحياء الأخرى. لأنها تتجاوز حد الارتفاع الذي عينته وهو أربعمائة متر. وهكذا يقال في بيروت وطبريا من مدن سورية وفلسطين، فإن بيروت التي تعلو عن سطح البحر في أرجائها الواقعة على الشاطئ

بضعة أمتار لا غير، ترينا ما أرتنا دمشق من تبدل الهواء في أحيائها. فإن حي الأشرفية مثلاً الذي يقع على ارتفاع خمسين متراً ونيفاً، يختلف هواؤه اختلافاً محسوساً عن سائر الأحياء كراس بيروت وسواه. وما ذلك إلا لأن المدينة واقعة تحت الحد الأدنى للارتفاع الذي عينته. وما يقال في بيروت يقال في طبرية التي تنخفض عن سطح البحر المتوسط ٢٣٦ متراً، فإن بين الطبقة والأخرى من بيوتها يختلف الهواء اختلافاً واضحاً.

وإن للارتفاع حداً إذا تجاوزه أضر بالصحة ضرراً بليغاً، لأن الضغط الهوائي ينقص كلما علت المدينة، وكلما خفَّ الضغط الهوائي نقصت كمية الأوكسجين في الهواء، فينشأ عن ذلك النقص تبدل محسوس في الصحة، كما أثبتت التحريات العديدة التي أجراها كثير من الأطباء في أماكن مختلفة الارتفاع. غير أنه لا مدينة من مدننا السورية تبلغ حد الارتفاع المضر، لأنه يقع بعد ألف وخمسمائة متر. وهذا لا نجده إلا في بعض قمم جبالنا. وخير المدن هواء ما تراوح ارتفاعها عن سطح البحر بين سبعمائة وألف متر.

(ب) وأما من الوجهة الجيولوجية أو تركيب طبقات الأرض، فتنقسم المدن إلى صخرية ورملية وصلصالية ولحقية. وهي أرض مركبة جيولوجياً من مواد كانت عالقة بالماء فرسبت بعد نضوب الماء منها . وقد أضيف إلى هذه الأقسام الأربعة في أيامنا قسم خامس، وهو المدن التي تقام على أرض صناعية.

فالمدن الصخرية أجود هواء من سائر المدن الأخرى من الوجهة الجيولوجية، هذا إذا لم تأت أسباب أخرى فتفسد هواءها، وإن ما يجعل المدن الصخرية في مقدمة المدن جودة صلد أرضها أي عدم نفوذها، وسيلان

المواد العفنة والمياه القذرة عليها دون أن تمتصها الأرض، فتبقى كامنة فيها، وتنشر الأوبئة والأمراض متى تيسرت لها الذرائع الملائمة.

وأما المدن الرملية فلا تُعد ملائمة للصحة إلا متى كانت الطبقة الواقعة تحت الرمل غير صلدة، لأنها إذا كانت صلصالية اجتمع الماء فيها ورطب الأرض. وكانت تلك الطبقة كخزانات المواد العفنة، تجتمع فيها فتلوث طبقة الأرض السطحية وتفسد الهواء.

وأما المدن اللحقية فإنها مدن يكثر فيها السباخ، وتتوفر فيها الشروط الملائمة لنمو البعوض وتكاثره. ولهذا كانت البرداء (الملاريا) من الأمراض التي تتفشى في هذه المدن فتفسد هواءها.

(ج) وإن لموقع المدينة بالنسبة لانصباب المياه فيها أهمية كبرى من الوجهة الصحية. فإذا كانت المدينة في قعر وادٍ، تحيط به الجبال وتنصبُّ فيه المياه المتدفقة منها مخترقة تلك المدينة، فإن أرضها تكون رطبة ومضرة. ولكن مهما كان موقع المدينة فإنها تُعد غير صالحة للسكنى، إذا كانت طبقة أرضها الصلدة واقعة على عمق قليل، لأن المياه بعد اختراقها لطبقة الأرض القابلة للنفوذ تجتمع في تلك الطبقة السطحية، وتعلو بسهولة إلى سطح الأرض، فتغوص جذوع النباتات والأشجار دائماً في بحيرة مائية، ولا تخصب تلك الأرض قط، هذا فضلاً عن ضررها الشديد بالصحة. وأما إذا كانت الطبقة الصلدة عميقة فإن المياه تبعد عن سطح الأرض، فيجف الهواء وتخصب الأرض. ولهذا قال الدكتور (فونساغريف) إن عمق الآبار في المدينة دليل على جودة هوائها، فكلما كانت الآبار عميقة أخصبت الأرض وجف الهواء، وكلما كانت آبارها سطحية قل خصب الأرض ورطب الهواء.

إن دمشق متوفرة فيها من الوجهة الجيولوجية ومسيل المياه الشروط الملائمة للصحة، لأن آبارها عميقة، لا يوصَل إلى الماء فيها قبل حفر عشرات من الأمتار. وهذا ما يجعل أرضها حطباً وهواءها جافاً، لأن طبقة أرضها الصلصالية عميقة.

(د) أما الأرياح التي تنقل الرطوبة والجفاف، فإن لها الأهمية الكبرى من الوجهة الصحية، لأن لها حسنات وسيئات. فمن حسناتها تجديد الهواء واستبدال ما أشبع منه بذرات الفحم وحامض الفحم وسائر المواد الأخرى المضرة بهواءٍ آخر آت من البحر والجبل وصالح للتنفس وتنقية الدم. وهذه التهوية الطبيعية لابد منها في مدن يكثر عدد سكانها وتتراصف بيوتها، وتقام فيها الأبنية الشاهقة المتعددة الطبقات. ومن سيئاتها أنها متى كانت خفيفة حملت الغبار الملقى على الأرض فتطاير في الفضاء ناقلاً معه الجراثيم المرضية. ولهذا كانت الرياح الهادئة شديدة الضرر، تنشر حين هبوبها الأوبئة في المدن انتشاراً سريعاً. فملافاة لهذا المحذور واتقاء لهذا الضرر الجسيم، يجب علينا أن نجعل الغبار ملتصقاً بالأرض، فنكثر من رش الأسواق والمنعطفات، ولا ندع للرياح تأثيراً فيها.

فإذا عصفت الأرياح شديدة في دمشق فأزعجتنا وأضرت ببعض الأبنية واقتلعت بعض الأشجار، وحالت دون التجول، فإنها رسول أمين يجب أن نكون له من الشاكرين، كيف لا وهي التي تجدد الهواء حتى في أضيق المنعطفات، في تلك الأزقة التي تقوم البيوت من جانبيها، فلا يفصل نافذة البيت الواحد عن نافذة الآخر إلا متران أو أقل، فهي التي تأتينا بالهواء النقي من قمم الجبال الشامخة، حيث لا جراثيم ولا غبار ولا مواد مضرة.

(٢) غرس الأشجار ووجود الساحات الكبيرة: إن هذا المؤثر الثاني في جودة الهواء كثيراً ما نمرُّ به في يومنا دون أن نتأمل ثانية واحدة بما له من الفضل علينا.

إن الأشجار التي تُغرس أيها السادة في الشوارع الكبرى والأسواق العريضة والساحات الفسيحة المطلقة التي لا بناء فيها، تؤثر تأثيراً شديداً في حالة الهواء. فإنها من العوامل التي تبدل تركيب الهواء، وتجعله صالحاً للتنفس، ومن العناصر التي تُصلح حالة الأرض وتجففها، فإن أوراق الأشجار تمتص من الهواء حامض الفحم، وتحوله إلى فحم فتغتذي به، وإلى أوكسجين لا تحتاج إليه فتبعثه بالهواء رحمة بالإنسان والحيوان، وإن معظم الأوكسجين تلقيه الأشجار بهيئة أوزون. وهو من الغازات التي عُرفت اليوم قيمتها الكبيرة.

وفضلاً عن ذلك فإن الأشجار تمتص قسماً كبيراً من رطوبة الهواء. وقد خمّن الدكتور (إيفار Ivert) ما تمتصه شجرة واحدة مورقة بمائة ليتر ماء كل يوم، فكما أنها تمتص من الهواء البخار المائي فتجففه، فإنها تمتص من رطوبة الأرض القسم الأكبر من الماء الذي تحتاج إليه في يومها بجذورها المرسلة بعيداً إلى أعماق الأرض. وقد قدّر مرصد (مون سوري) (Mont Souris) أن الشجرة تمتص من رطوبة الأرض خمسة أضعاف ما تمتص من الهواء تحت تأثير حرارة الشمس. فكم هي عظيمة كمية الماء الذي تمتصه أشجار أحد الشوارع من أرض البيوت المشيّدة على أطرافها.

ولا تنحصر فائدة الأشجار بامتصاص رطوبة الهواء، ولكن الظل الذي تنشره على الأرض يأتي بفوائد جليلة مدة الصيف، ولا سيما في البلاد

الحارة، فإنه يقي الكثيرين من الرعن أي ضربة الشمس، فنفع الأشجار إذاً كبير من وجوه عديدة. ولهذا يشير علماء الصحة بغرس الأشجار في جانبي الشوارع العريضة، ويراعون في غرسها هندسة خاصة، كي لا تضر في البيوت المجاورة لها فتمنع عنها الهواء والنور. إن لهذه القضية أهميتها، فقد كانت موضع درس دقيق في المؤتمر الصحي الألماني الذي عُقد في درسد (Dresde) سنة ١٨٨٣، وفي المجمع الصحي الدولي الذي عُقد في بروكسل عاصمة بلجيكا سنة ١٩٠٣.

فإذا كان للأشجار التي تغرس على جانبي الشوارع والأسواق هذه الفائدة الكبرى، على الرغم من قلة عددها، فما عساها أن تكون فائدة الحدائق العامة الفسيحة. إن هذه الحدائق، هذه الأماكن المتسعة حيث الهواء حرٌّ وأشعة الشمس حارة ترطبها نفحات النسيم البليل المتلاعب بأغصان الأشجار، حيث يجلس الإنسان لترويح النفس، تظلله الأشجار المورقة المزهرة حيث تتنفس الرئتان تنفساً عميقاً يدفع الإنسان منهما الهواء المشبع بحامض الكربون، ويستبدله بهواء نقي، حيث يلعب الأولاد ويركضون على ذلك البساط الأخضر النضير. هبةٌ ثمينةُ لا ندرك قيمتها تؤثر في صحة الأبدان فتحسنها، وتروض الأفكار فتجلوها. فتأثيرها إذاً جسدي ونفسي في آن واحد.

إن هذه الأماكن تخفف بعض الازدحام الذي نراه في قلب المدينة، ذلك الازدحام الشديد الضرر الذي كلما ارتقى علم الصحة ظهر ضرره، وسُعي إلى اجتنابه. ولهذا أكثرت العواصم الكبرى والمدن التي تسوسها حكومة راقية من هذه الحدائق المتسعة غير ناظرة إلى إلى المخازن والمساكن

والأسواق التي تهدمها، ولا مبالية بما لها من الأثمان الباهظة، ولا ملبية عاطفة محبة للمال والثروة، ولكنها تجيب ما تتطلبه الصحة العامة، فتُنشئ هذه الحدائق التي لا تُكسبها بارة واحدة في السنة، ولكنها بعكس ذلك تضطرها إلى نفقات طائلة لتبقى محافظة على نضارتها وجمالها.

فإن في باريس ستاً وأربعين حديقة مساحتها ستة وعشرون ألفاً وثلاثمائة متر مربع، وفي لوندرة أربعين حديقة مساحتها أكثر من مساحة حدائق باريس بألف متر مربع، وفي برلين عشرين حديقة تعادل مساحتها خمساً وخمسين ألفاً وأربعمائة متر مربع، أي ضعفي مساحة حدائق باريس، هذا عدا أحراج (سباندو Spandau) و(غراندو Grunwald) التي تعادل مساحتها نصف مليون متر مربع.

إلا أننا في دمشق لا نجد سوى حديقة واحدة لا تزيد مساحتها عن خمسمائة متر مربع وشارع واحد مشجر، لو لم يُشق في زمن لم يكن للشعب فيه حق الاعتراض، لما كان لدمشق مع غزارة مياهها وخصب أرضها متنفس يتنفس فيه سكانها الهواء النقي. إن شارع النصر قد حسَّن حالة الدمشقيين تحسيناً لا يُكتسب بالأدوية والغذاء وغيرهما. فيا حبذا لو كان في هذه المدينة منه عشرات، غير أن ما يُعيض بعض الإعاضة عن هذه الحدائق والشوارع هو الجنائن البديعة التي تطوق دمشق وتوجد في بعض أحيائها، ولولاها لكانت دمشق لا تصلح للسكن.

أما الساحات الكبيرة الحرة فلا أثر لها عندنا. وإذا تكلمت عنها فإنني ألمس مسألة أخرى جليلة الفائدة في المدن، وهي هندسة الشوارع هندسة حديثة، إلا أنني لا أريد التعرض لهذا البحث في محاضرتي هذه، لأنه موضوع

يستغرق محاضرات، وإنما أقول كلمة عنه لأبيّن لكم كم هو عظيم اهتمام البلاد الراقية بهذه النقطة الأساسية، وكم هو كبير إهمالنا. إن (موسيو بوكيا Beauquia) أحد أعضاء المجلس النيابي الفرنسي اقترح سنة ١٩٠٩ أن يرسم لكل مدينة يزيد عدد سكانها عن عشرة آلاف نسمة مصوّر يبيّن فيه مساحة المدينة وحدائقها العامة واتساعها وعرض طرقها واستقامة تلك الطرق وطرز بناء بيوتها، وبكلمة واحدة كل ما يتعلق بتلك المدينة وما يجمع بين جمالها الظاهر وحالتها الصحية، وأن يطبق هذه المخطط تطبيقاً دقيقاً لا يقبل الاعتراض ولا تراعى فيه مصالح الأفراد. فهل افتكر أولياء الأمور عندنا بوضع مخطط مختصر، تُحسَّن فيه حالة بعض الأحياء التي لا تُسكن في دمشق. ولنفرض أن مرَّ ذلك الفكر في مخيلتهم، فهل برز من شيء إلى حيّز العمل!.

لست أجهل أيها السادة أن وضع مخطط كهذا يضطرنا إلى هدم مدينتنا جميعها، غير أن من الأمور ما هو مهم وأهم. فإذا كان اتباع خطة واحدة في الأسواق وطرز واحد في البناء وعلو واحد في المساكن مهماً، يُكسب المدينة رونقاً وبهاء وهواءها جودة، فإن تخطيط بعض الأسواق العريضة التي تكتنف الأشجار جانبيها، وغرس بعض الحدائق العامة الفسيحة في قلب المدينة، وإيجاد بعض الساحات الحرة المتسعة وكشف الأسواق الضيقة التي لم تدخلها أشعة الشمس منذ بنيت، وعدم السماح بتغطية ما هو مكشوف منها، لمن الأمور الشديدة الأهمية التي لا غنى عنها. وإنني أعجب ولعلكم تعجبون معي كيف انّ ما أصلحته الطبيعة فكان لهذه المدينة مصدراً للصحة، نُفسده نحن بأيدينا. كيف أنّ يد الطبيعة أسقطت سقف سوق الحميدية رحمة بمن فيها من التجار ومن يمرُّ بها من البشر في كل يوم،

وكيف أن الحكومة سمحت بإعادة هذا الغطاء وحرمان تلك المخازن من أشعة الشمس المنعشة. أمر لم أجد له مسوغاً في قوانين البلاد الراقية.

(٣) أجوز الآن إلى المؤثر الثالث وهو الغبار وتأثيره في هواء المدن: إن الغبار المنتشر في الهواء ينقل معه كثيراً من الجراثيم المرضية متى عصفت الريح ووجدت المجاري الهوائية، فتدخل تلك الجراثيم البيوت بطرق متعددة، بأحذيتنا وأثوابنا وبشرة أجسادنا والحيوانات الداجنة، وكل ما في الأسواق من البضائع والمواد الغذائية، وتدخل الجراثيم أيضاً البيوت مع الهواء من النوافذ. ولهذا كانت البيوت المشيّدة التي يكثر فيها الغبار والتي تطرقها السيارات كثيراً معرضة أكثر من سواها لهذه الجراثيم، وكان أهلها معرضين أكثر من غيرهم للأوبئة والأمراض. وإن ما يزيد الطين بلة هو أنّ سكان تلك البيوت يغلقون النوافذ ويحكمون سدها حذراً من دخول الغبار منها، فيفسد الهواء في مساكنهم ولا يعود صالحاً للتنفس، فيقعون وهم يطلبون التخلص من شر كبير في شر أكبر. ولا يؤثر الغبار في الإنسان والحيوان فقط، بل يؤثر في النباتات أيضاً، لأنها تتنفس ككليهما، فإن الأشجار متى كسا أوراقها الغبار تذوي وتموت، وإذا لم تمت تضعف خاصة التنفس فيها، فتفقد وظيفتها الأساسية وهي تجديد الأوكسجين وتنقية الهواء الذي يتنفسه الإنسان.

ليس الغبار سوى ذرات الأوحال الجافة التي لا يخلو منها مكان من أمكنة دمشق. فإذا عاينّا تلك الذرات وجدنا فيها أشياء كثيرة، رأينا المواد العضوية والجير والبوتاس والصوان والخزف والمواد المعدنية والحامض الفوسفوري والحامض الفحمي وغيرها. ووجدنا معها – وهذا ما يهمنا

أمره – كمية عديدة من الجراثيم المختلفة الأنواع. فقد تبين من تحري الدكتور (آيتكن Aitken) أن كل سانتمتر مكعب من الهواء يحتوي في باريس على مائتين وعشرة آلاف ذرة غبار. وأنه في لوندرة لا يحتوي إلا على مائة وخمسين الفاً لا غير. أما الجراثيم الموجودة فيه فتبلغ مليونين وأربعمائة ألف جرثومة. فما عساها أن تكون حالة الهواء في دمشق والغبار في طرقاتها يحجب نور الشمس ويدخل الصدور بلا استئذان. فإذا سارت عربة تركت وراءها ذيلاً من الغبار طويلاً، أو نهبت الأرض سيارة طائرة عليها التحفتْ بغطاء من الغبار يسترها، وألبست المارين منه ثوباً لطيف النسج.

تدخل ذرات الغبار أجسادنا بطريقتين: طريق التنفس وطريق الهضم. قد ثبت في أكثر الأوقات أن انتقال السل يتم بالهواء أي بذرات الغبار التي تنقل معها عصية كوخ أو العامل السلي. وقد ثبت أيضاً من المشاهدات السريرية أنّ تسعاً وتسعين في المائة من المسلولين، ينتقل السل إليهم بواسطة الهواء الذي ينقل هذه الذرات إلى أفواههم فيبتلعونها، أو إلى رئاتهم فيستنشقونها. وبيّنت تحريات (فلوغ Flugg) أيضاً أنّ عدوى السل بطريق التنفس لا تنشأ فقط من قُشاعات المصدورين التي بعد أن تجف وتبدرها الريح، تُنقَل مع الهواء فتدخل رئاتنا، بل تنشأ أيضاً من النفثات الصغيرة التي يرشقها المسلول في الهواء أثناء السعال، فتنقل العدوى إلى بضعة أمتار.

ولا تظنن أن السل وحده ينتقل بالهواء، فإن كثيراً من الأمراض ينتقل به أيضاً. فالحمّى التيفية مثلاً تنتقل بالماء والبقول الملوثة كما يعلم جميعنا، إلا أنها تنتقل بالهواء أيضاً. وقد أثبتت هذه القضية تحريات (الدكتور تيكبورن Tich borue) وبملامسة المريض وكل ما تلوث من أثوابه وفراشه.

أجل إن انتقال الحمّى التيفية بغبار الهواء أمر قليل الوقوع، لا يعادل انتقال السل به، غير أنّ جرثوم الحمى التيفية شديد المناعة، لا تؤثر به حرارة الشمس تأثيرها بجرثوم السل الذي تتلفه ببضع ساعات، ولهذا كان خطر انتقاله بالغبار موجوداً.

وكذلك الخلفة أي الدوسنطاريا التي أجمع الجميع على انتقالها بالماء، تراها تنتقل بالهواء أيضاً، ولا سيما في من يتعرضون للغازات المنبعثة من المراحيض او يجاورون الأقذار والمواد الغائطة التي تلقى في الأسواق من آن إلى آخر، منتظرة رحمة الشمس لكي تبخر ما فيها من المياه القذرة وتجففها، فيُسعى عندئذ إلى نقلها.

والسعال الديكي (أو الشهقة) هذا الوباء الشديد الانتشار الذي يسري باللمس، قد ينتقل بذرات القشاعات التي يرشقها المريض أثناء نوب السعال، وزد على ذلك أن المواد التي ينفثها المريض، وهي التي تُنسب إليها السراية تتطير ذراتها بالهواء، بعد أن تكون قد التصقت بالأثواب وجفت فتنقل العدوى.

وذات الرئة تنتقل أيضاً بالهواء. وهي مرض ينشأ من جرثوم مرضي خاص، يكون في جهاز التنفس، فيُنفث مع قشاعات المريض، وينتقل بها بعد أن تلقى على الطرق العامة فتجف ويبددها الهواء. وإن ما يساعد على انتشارها شدة مقاومة هذا الجرثوم، فهو يبقى محافظاً على قوته الحيوية أياماً عديدة وربما شهرين كاملين متى كان في مأمن من نور الشمس وملامسة الهواء والأوكسجين. وهذه الشروط نراها موجودة في شقوق البلاط وفي تلال التراب المكدسة على زوايا الطرق والأسواق.

أما النزلة الوافدة أي الحمى الاسبانية فلم يُجمع كل الأطباء على انتقالها بالهواء، فمنهم من صنف هذا الداء بين الأمراض التي تنتقل بالأرياح العاصفة والمجاري الهوائية الشديدة، ومنهم من قال إن ذرات التراب الملوثة بعامل (بفايفر) أي عامل النزلة الوافدة، لا تنتقل إلا بعد قليل، فهي لا تتمكن والحالة هذه من نقل المرض، ومهما يكن عامل هذا الداء يلقى كسواه على الطرق العامة مع قشاعات المرضى وبصاقهم.

أما الجدري فإن عامله ينتقل بالهواء أيضاً بالذرات الصغيرة الناشئة من مفرزات البثور وفلوسها، فإنها تتطاير مع الهواء ناقلة المرض. وعامل الجدري شديد المقاومة، يلتصق مدة طويلة بالأجسام والأشياء كجدران البيوت والألبسة والأثواب والأدوات دون أن يفقد شيئاً من قوته. وهذا يبين كيف أن هذا المرض متى دخل بلداً طالت إقامته فيه، فينطفي آونة ثم يظهر أخرى دون سبب ظاهر، وعدواه تتم غالباً بطريق التنفس. وهكذا يقال عن الخناق أي الدفتريا فإنها تنتقل بالهواء.

وأخيراً الطاعون الرئوي، هذا الوباء الهائل الذي يفتك متى انتشر بمئات الألوف والملايين. فإنه ينتقل بالهواء إلى جهاز التنفس. ويعتقد كثير من الأطباء أن الحمى الاسبانية التي استولت على أوربا سنة ١٩١٩، ولم يقل عدد ضحاياها عن خمسة ملايين، لم تكن إلا طاعوناً رئوياً. حتى أن حكومة الولايات المتحدة حيث كان تفشي المرض شديداً أجبرت جميع ساكنيها على أن لا يظهروا في الأسواق إلا وعلى أنوفهم وأفواههم خمار مبلل ببعض المواد المضادة للفساد. وهكذا تمكنت من حصر المرض وتخفيف وطأته.

ولا تنتشر الجراثيم بالأرياح فقط، بل تنتشر أيضاً بطرق أخرى، منها نفض الطنافس في الشرفات والنوافذ، وندف القطن والصوف المحشوة بهما لحف المرضى وفرشهم في المخازن المشرفة على الطرق العامة، فيترتب على الحكومة منع هذه الأشياء منعاً باتاً، مهما كانت مراعاتها شديدة الصعوبة.

ولكن على الرغم من امتلاء الهواء بذرات الغبار الملوثة، وعلى الرغم من استنشاقنا هذا الهواء ودخول الجراثيم إلى أعماق حويصلاتنا الرئوية، نرى انتشار الأمراض قليلاً، لا يناسب كثرة هذه الجراثيم. وما ذلك إلا لأنها تتلف بعد وصولها إلى أعماق الرئة. فإن الطبيعة جعلت الدواء إلى جانب الداء. ولهذا كانت للمفرزات الشعبية خاصة قاتلة للجراثيم.

هذا ما رغبت بطرحه أمامكم في هذه المحاضرة من الأمور الصحية. ومنها تستنتجون أن الطبيعة لم تضن على دمشقنا بجودة الموقع الجغرافي ولا بالارتفاع عن سطح البحر، ولا بتركيب أرضها الجيولوجي الموافق، ولا بالنُهُر الغزيرة الناقلة مع مياهها خصباً وهواء نقياً، ولا بالأرياح العاصفة التي تهب الأنسان بهبوبها حياة جديدة. وإنما نحن الذين ضنوا عليها بكل ما يؤثر في هوائها فيصلحه. ضننا عليها بالأسواق المتسعة الفسيحة، ضننا عليها بالساحات الكبيرة والحدائق الكثيرة، ضننا عليها بتنظيف شوارعها من الأوحال الحاضرة أو الغبار القتال المقبل، ضننا عليها بما هو أعظم من كل هذا، وبما لم أبيِّنَهُ في محاضرتي نظراً لضيق الوقت. فإذا تفشت الأوبئة فيما بيننا فليس الذنب إلا علينا، أو ساءت الصحة العامة فلا تعود تبعة هذه الإساءة إلا إلينا، فعسى أن يكون المستقبل باسماً لا عبوساً كالماضي، فنرى في دمشق حياة جديدة تدب في أسواقها، حياة ترقى برقي علم الصحة بين

أفرادنا. فعسى أن ينتبه الزملاء الكرام إلى سد هذه الثلمة، فيكثرون من المحاضرات الصحية. فهي لعمري أكثر ضرورة وأعظم فائدة من المحاضرات العلمية والأدبية والشعرية وغيرها، لأنها تحفظ حياة الشعوب. ولا تقدم لشعب يحصد منجل الأمراض من شبانه الأذكياء النابغين ومن شاباته المهذبات الأديبات، فعسى أن يسعدني الحظ في المستقبل، فأقوم بواجب يفرضه علي الفن الذي أنتسب إليه، وألقي في ناديكم الموقر من آن لآن محاضرات أخرى مختلفة الموضوعات، تضمن للسيدات نضارة جمالهن، وللشبان قوة عضلاتهم... والله الموفق على كل حال(*).

(*) محاضرة ألقاها في قاعة المجمع العلمي العربي في شباط ١٩٢٣، ونشرتها مجلة المجمع في الجزء العاشر من المجلد الصادر في أيلول ١٩٢٩.

خاتمة

لقد أثبتت هذه الخطوة الرائدة في تعريب التعليم الطبي في المعهد الطبي العربي، قدرة اللغة العربية على استيعاب العلوم الحديثة في مختلف مجالاتها. بل كانت الأساس لتعريب التعليم الجامعي العلمي سواء في العلوم الأساسية كالرياضيات والكيمياء والفيزياء، أو العلوم التطبيقية كالهندسة بفروعها والميكانيك وغيرهما. فالمعهد الطبي العربي بدمشق نتج عنه ثلاث كليات هي الطب وطب الأسنان والصيدلة، وجميعها نهجت نهج المعهد في التدريس باللغة العربية، ثم لحقتها الكليات العلمية الأخرى التي تأسست بعد ذلك. ثم انتقل هذا التأثير إلى الجامعات السورية الرسمية التي أنشِئت فيما بعد.

هذه الخطوة الرائدة في تعريب التعليم الطبي، أكدت قدرة لغة الضاد على استنباط المصطلحات الطبية والعلمية بصورة عامة، إذا ما تصدى لذلك علماء يتقنون لغتهم الأم، ويمتلكون أسرارها وقواعدها في الاشتقاق والتوليد، ويتقنون اللغة التي سينقلون عنها.

وإنه لمن دواعي السرور والاطمئنان، أن مكتبتنا العلمية أصبحت تزخر بالكثير من الكتب العلمية باللغة العربية. سواء في المناهج التدريسية

الجامعية أو بعيداً عنها، وأن خريجي كلياتنا العلمية أثبتوا جدارتهم في متابعة دراساتهم العليا في الجامعات الأوربية، وفي العمل بنجاح في الدول الأخرى، بل إنهم مطلوبون أكثر من خريجي الجامعات العربية الأخرى.

المصادر والمراجع:

١ – مؤلفات الدكتور مرشد خاطر التي نبهت عليها وجعت إليها.

٢ – رضا سعيد – مؤسس الجامعة السورية – الدكتور صباح قباني – مؤسسة جداول للنشر والتوزيع – الكويت ٢٠١١.

٣– مجلة المعهد الطبي – المعهد الطبي العربي – جميع أعدادها منذ العدد الأول عام ١٩٢٤ وحتى العدد الأخير عام ١٩٤٧.

٣– مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، جميع الأعداد منذ الجزء الأول من المجلد الأول في كانون الثاني ١٩٢١، وحتى نهاية المجلد الأربعين لعام ١٩٦٥.

٤– مع الدكتور أحمد شوكت الشطي – نصف قرن من النضال الإنساني – يضم الكلمات التي ألقيت في حفل تأبينه بمناسبة مرور أربعين يوماً على رحيله – دار طلاس ١٩٧٨.

٥– تاريخ الجامعة السورية – البداية والنمو – ١٩٠١ – ١٩٤٦ الدكتور عبد الكريم رافق – مكتبة نوبل – دمشق ٢٠٠٤.

٦– سِيَر عشر جامعات حكومية عربية – مجموعة من المؤلفين – المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات – الدوحة ٢٠١٨.

٧– مجلة (المعجمية) – العدد الثاني – تونس ١٩٨٦.

٨- معجم أعلام الطب في التاريخ العربي الإسلامي – الدكتور سليم عبابنة) – مديرية الثقافة في أمانة عمان الكبرى – عمان (الأردن) ٢٠١٠.

٩- إضبارة مرشد خاطر في مجمع اللغة العربية بدمشق.

١٠- المجمعيون الأوائل في المجمع العلمي العربي – مازن المبارك – مطبوعات مجمع اللغة العربية – دمشق ٢٠١٥.

١١- مرشد خاطر العالم المكافح والعامل المناضل – كتاب (عبقريات) – عبد الغني العطري – دار البشائر – دمشق ١٩٧٠.

١٢- مرشد خاطر – الموسوعة العربية – برهان العابد – المجلد ٨.

فهرس

الصفحة

الفصل الثالث

الصفحة

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل السادس

الصفحة

الفصل السابع

أحمد بوبس

- إعلامي وكاتب.
- إجازة في الرياضيات من جامعة دمشق.
- عمل صحفياً في جريدة الثورة لأكثر من ثلاثين عاماً.
- معد برامج وأفلام وثائقية في التلفزيون العربي السوري.
- صدر له ثمانية عشر كتاباً، صدر منها الكتب التالية عن الهيئة العامة السورية للكتاب:
  - مبدعو الألحان السورية في القرن العشرين – عام ٢٠١١م.
  - فلسطين في الأغنية العربية – عام ٢٠١١م.
  - حي الميدان الدمشقي – عام ٢٠١٤م.
  - فريد الأطرش – عام ٢٠١٥م.
  - رضا سعيد – عام ٢٠١٧م.
  - حكمت محسن – عام ٢٠١٧م.
  - عبد اللطيف فتحي – عام ٢٠١٩م.

٢٠٢٢م

هذا الكتاب هو عصارة جهد استمر ما ينوف عن العام سعى فيه المؤلف لأن يقدّم مرشد خاطر بأفضل ما يكون التقديم عبر كتاب يكون مرجعاً وافياً لكل باحث.

تناول الكتاب الجوانب الطبية والعلمية والعملية في حياة مرشد خاطر، طبيباً وأستاذاً في المعهد الطبي العربي بدمشق، ورئيساً لتحرير مجلة المعهد الطبي العربي، كما استعرض مؤلفاته الطبية. وتناول الكتاب جوانب أخرى في حياة مرشد خاطر العملية، مثل توليه وزارة الصحة، وعضويته في المجمع العلمي العربي بدمشق. وقدّم نماذج من أبحاثه الطبية التي نُشرت في المجلات أو ألقيت كمحاضرات.

ISBN 978-9933-0-1441-4

9 789933 014414

www.syrbook. gov.sy
E-mail: syrbook.dg@gmail.com
هاتف: ٣٣٢٩٨١٥ - ٣٣٢٩٨١٦
مطابع الهيئة العامة السورية للكتاب - ٢٠٢٢م

سعر النسخة ٤٨٠٠ ل.س أو ما يعادلها